



سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

تراثنا



طلقات المعتمد الرياضي في حلقات المذهب الأباضي

تأليف

الفقيه الفاضل الشيخ

سالم بن حمود بن شامس السيابي
قاضى المحكمة الشرعية بمقط



١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م



سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأباضي

تأليف
الفقيه الفاضل الشيخ
سالم بن حمود بن شامس السيابي
قاضي المحكمة الشرعية بمسقط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى دعم المذهب الأباضى بالكتاب والسنة والإجماع ، ورفع عن أتباعه المخلصين له تبارك وتعالى حكم الابتداع ، وجعل طلقات معهده الرياضى ترفع الشقاق والنزاع ، أحمدته عز وجل حمداً يدوم له بلا انقطاع ، وأشكره سبحانه وتعالى شكراً يكون لنا فى رحمته اتساع ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله عمدة الحق وحجة الله على عباده ورحمته المهداة لهم من عنده ، صلى الله عليه وآله وسلم .

أما بعد فهذا كتاب فى المذهب الأباضى يشتمل على ذكر رجاله فى الصدر الأول ، لأنهم هم الأصل له والدعامة التى قامت عليها أركانه ، والحجة التى ثبتت معالمه وقام عليها بنيانه ، والمبدأ الذى هو المركز المهم ، فهم مصدره الذى يعرف به مورده وكل ما لأصل له لا يعتمد عليه وما لا مبدأ له فليس بحجة عند أهل العلم ، وصدر المذهب هم النهر الذى يمد غراس المذهب بماء الحياة فيورق ويثمر .

والكتاب قسمان كما سوف نبين ذلك إن شاء الله فى حلقات متتابعة متماسكة أولاهن وثانيتهن وثالثتهن ورابعتهن إلى ست حلقات ، فعقيدته وهو القسم الثانى وكل واحدة منهن لشئون مقامها جامعة ، ولنا أمام المقصود مقدمة لابد منها تكون كالأساس لما بعدها ، والله نستعينه ونستهديه وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مقدمة

لا يخفى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو النهر الذى وردت الأمة منه ، بل هو البحر الذى أفاض على أرجاء المعمورة ما عاشت به ، وأن أصحابه رضى الله عنهم هم الخلدان المتفرعة عنه ، وأن التابعين لهم هما الجدول والسواقى التى أمدت أرواح البلاد بمائها العذب ، وأثبتت الأرض ريفها وضواحيها ما عاشت الأمة به عليها ، وما زال ذلك الغيث المحمدى ملء خزانات العالم الروحى ، فيأصاً محفوظ التراث ، مصوناً من الأحداث ، غير ممنوع عن أى متعش إلىه ، ولا مقطوع عن أى راغب فيه .

ولا يخفى أن أهل عمان كما أسلموا طوعاً واعتنقوا الإسلام وتقلدوا الدين الحنيف راغبين ، وخضعوا لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام غير مجبورين ولا مقهورين ، وقد شاركوا الصحابة المرضيين بخمسة من رجالهم معروفين ، أشبه بالجواري^(١) السيارة فى السماء ، وإن غطى عليهم حاسدهم فلا يؤثر على حقائقهم ومقامهم فى بيثة الصحابة غير مخفى .

ومما يسجل لأهل عمان الفخر ، ويعرب عن طاعتهم للحق خروج أحدهم إلى الرسول بحادث وقع له مع معبوده من دون الله ، فكسر معبوده المشار إليه مع أن غيره يقاتل عليه ، وتوجه الرسول عليه الصلاة والسلام فى أقصى الجزيرة العبية فى الشرق ، حتى وافى المدينة المنورة وتلقى من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كل خير ، واستدعاه^(٢) لأهل عمان عامة دعوات متكررة لها قيمتها ، كما استدعاه بعد ذلك لنفسه خاصة ،

فحقق الله ذلك كله ، وأجاب الله دعوة نبيه عليه الصلاة والسلام لأهل عمان عامة ، ودعوة السائل خاصة بما لا يخفى ، وها نحن إن شاء الله نقص القضية عند الكلام على صاحبها نقلا عن رجالهم في الإسلام أعلام ، وهم في الأمة من لا يخفى مكانهم ، بين الأنعام ولكل درجات مما عملوا والله ولي التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

القسم الأول المشتمل على أربع حلقات

الحلقة الأولى : حلقة الصحابة الذين أخذ عنهم الأباضية دينهم ، ونقلوا عنهم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رضوان الله عليهم ، وفي مقدمتهم البحر ابن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما ، ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن أهل المذهب أكثر نقلهم عنه كما يعرف ذلك من تتبع أقوالهم وأمعن النظر في أعمالهم ، ودرس محركاتهم ، فهو الإمام لهم في نقل السنة النبوية ، وعليه معول أكثرهم ومعتمد روايتهم ، فقد أخذ عنه جابر بن زيد أبو الشعثاء رضى الله عنه ، وهو أكثر علماء الأباضية وأجل حملة العلم لديهم ، وقد أجمعت الأمة على سعة علمه ولذلك لقب بالبحر .

قال جابر بن زيد ، رحمه الله ورضى عنه ، لقيت سبعين رجلاً من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم إلا البحر ابن عباس رضى الله عنهما فكذت أن أغرق ، ولقب أيضاً جبر الأمة لسعة علمه ، أى عالمها ، وأنه وكذلك وهو أعرف من أن يعرف به فلا نطيل المقال فيه وهو أشهر من نار على علم .

والثانى : عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى أحد علماء الصحابة وأحد مشاهيرهم ، وهو أحد شيوخ أبو الشعثاء رحمه الله ، وقد أخذ عنه جابر ابن زيد الكثير ، وحمل عنه رواية الصحيحين وأرباب المساند كلهم ، وهو العلم السامى بين أعلام الصحابة رضى الله عنهم ، وقد أطال المترجمون عنه كالاستيعاب^(١) والإصابة^(٢) وأسد الغابة وغيرهم من العلماء الذين دونوا تراجم الصحابة في الصدر الأول ، وهو من الشكاك لزهده ، فإن زهده

وخوفه من الله حيره ، والخوف من الله له على أنفس المؤمنين أثر كبير ،
والله المستعان نسأله تعالى العون على رضاه والتوفيق لما يحبه ويرضاه إنه ولي
كل شيء ، وإلى هذين الشيخين أشار الإمام السالمى رحمه الله في جوهره (١)
حيث يقول : ثلاثة في مكة عبادلة ثالثهم عبد الله بن الزبير (٢) ، قال فيه ولم
يكن لابن الزبير أثر في كتبنا إلخ .

والثالث في علماء الصحابة الذين أكثر الأباضية النقل عنه : السيدة عائشة
أم المؤمنين رضى الله عنها ، لقوله عليه الصلاة والسلام فيها : « خذوا شطر
دينكم عن هذه الحمراء » رضى الله عنها فقد أخذ عنها الصدر الأول من
المسلمين رضى الله عنهم ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحتكمون إليها
فيما يختلفون فيه ، فيرضون بحكمها ويسلمون لها لضبطها وعدالتها وقوة
فهمها ، ولها في كتب الأباضية في المنقول عنها شيء غير يسير رحمه الله
ورضى عنها .

الرابع من رواة السنة عند الأباضية أى الذين نقل عنهم الكثير :
أبو سعيد الخدرى رحمه الله ورضى عنه ، ولا يخفى أنه من أجلة علماء
الصحابة ، فهو علامة شهير وهمام نحريز ، أحد حفاظ الحديث وأحد
أئمة العلم وأحد نقلة السنة ، رضى الله عنه ، لقد كان كنزاً جمع جواهر
السنة وحوى المهم منها وترجمته مع أهل الفن نيرة جليلة .

الخامس : أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحد
الخصيصين بالرسول عليه الصلاة والسلام ، المعروفين في مجمع الصحابة

المقرَّبين لدى إمام الأمة وسيدها المصطفى المأمون * دينه ، الأمين في أَمته المرضي بينهم ، الثقة المعتمد الذي لا يعرف بعباب ولايلم به ارتياب رضى الله عنه :

السادس : جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، الأنصارى السلمى من خيرة الأنصار ، ومن أعيان المسلمين الأخيار الذين عرفت منازلهم في الدين وحمدت أعمالهم بين المسلمين ، وأصبحوا حجة صالحة في الدين .

السابع : أبو هريرة الراوية المعروف الذى لا يخفى حاله بين رجال السنة ، إذ كان من أوعاهم وأحفظهم في نقل السنة ، حتى استنكر بعضهم كثرة نقله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واعتذر إليهم بذلك العذر الذى له في صدده معناه المعقول ، وقلّ ياب من أبواب السنة لا أوله فيه رواية ، وإن لم ترضه الشيعة فله في مسند الربيع ^{الكلبي} مثل ما في غيره من مساند السنة :

ويكفي أن ننوه بالبعض من هؤلاء الرجال كرمز لباقيهم ، فإنهم - كما قلنا عنهم - الجداول المتفرعة من النهر ، وكلهم كما يقول فيهم صلى الله عليه وآله وسلم : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وحسبنا من النساء عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ابنة الصديق أبى بكر رضى الله عنه ، وزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا يخفى أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام كلهن روين عنه أحاديث نقلها عنهن رواة السنة وحملوا العلماء إلى الأمة ، وإن كان لعائشة رضى الله عنها فضيلة عليهن ، فإنها تروى الكثير وهي معدودة من العلماء في السنة ، ليست ناقلة فقط ، فإن بعض الرجال ناقل فقط فضلا عن النساء

نقلة أمناء ، وبعضهم نقلة علماء ، يفهمون مقاصد الرسول ، ويدركون الغاية في الرواية بمحض الدراية لا بنفس الرواية كما أشار إلى ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله : « رب مبلغ أوعى من سامع »^(١) ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « رب حامل فقهه وليس بفقير »^(٢) ، وبهذه الأحوال تمتاز الرجال فإن الله عز وجل خص من شاء بما شاء ، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، أخبر عنهم الرسول عليه الصلاة والسلام ، بما يمتاز به بعضهم من بعض ، وتلك حكمة الله تبارك وتعالى في بريته .

ولا يخفى أن معشر أهل عمان في الصحابة خمسة رجال نذكرهم للتعريف بهم ، وليعلم أنا ممن اتبع الحق راغبين ، وهؤلاء الخمسة ، وإن كانوا ليسوا من حملة السنة ولا من علماء الصحابة الذين حماوا الشريعة ، ولكنهم من الصحابة بكل معنى الكلمة ، وتفتخر بهم عمان ، ولا يخفى شأن الصحابة وقدرهم ، لاسيما الذين لم تعرف لهم هفوة في الدين أو زلة في أمور المسلمين أو انحراف عن منهج المؤمنين ، وكذلك أيضاً لم يكن الصحابة كلهم رواة للسنة ، بل بعضهم يروى الكثير وبعضهم عنده القليل ، وقد فازوا باسم الصحبة ، فلو أنفق أحدنا مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ، والحمد لله .

ومن هؤلاء الصحابة الخمسة الذين أشرنا إليهم :

الشيخ الطائى مازن بن غضوبة السعدى

كان مازن بن غضوبة المذكور من أهل سمايل ، وكان زعيم قومه آل طى فى سمايل والمقدم عليهم ، وكان كما قال عنه فى : إنسان العيون ، فى الجزء الأول ، وفى غيره من كتب التاريخ ، كان له صنم يقال له باحر - بالموحدة والحاء المهملة بينهما ألف وآخره راء مهملة - وقيل فى بعض الكتب : يقال له ناجر - بالنون والجيم وآخره راء مهملة - ولعل ذلك لتصحيح وقع فيه ، فإن الأحرف متشابهة والكلمة متقاربة الشكل : قال فى إنسان العيون بسيرة الأمين المأمون ، وهو المعروف بصاحب السيرة الحلبية^(١) :

قال مازن بن غضوبة : كنت أسدن ، أى أخدم صنما بقرية عمان بالتخفيف تدعى سمايل^(٢) . قلت هى بلدنا الحالى ، قال فعترنا ذات يوم عنده عتيرة أى ذبيحة ، وهى إذا أطلقت وقيل تختص بهذا الاسم إذا كانت فى شهر رجب ، قال فسمعنا صوتاً من جوف الصنم يقول : يا مازن اسمع تسر ، أى يسرك ما تسمعه . قال : ظهر خير وبطن شر ، والمراد بالخير : النبوة التى أرادها الله عز وجل لهذا الخليل الكريم على الله جل شأنه ، والمراد بالشر : الكفر الذى عليه الأمة :

قال : بعث نبى من مضر ، أى ابن معد بن عدنان يتصل نسبه إلى إسماعيل بن الخليل عليهم الصلاة والسلام ، قلت هذا تفسير للخير المشار إليه ، وقوله بدين الله الأكبر أى بالدين الذى هو أكبر الأديان ، لأن الله تعالى وعد أن يظهره على الأديان كلها ، فيكون بهذا الاعتبار أكبرها ، أو أن أكبر صفة لله عز وجل وعلا^(٣) بمعنى العظيم^(٤) فى ذاته^(٥) وصفاته وأفعاله ، فيكون صفة^(٦) لاسم الجلال .

قال : فدع نحيباً من حجر أى اترك المنحوت من الحجر ، فإنه لا ينفع

ولايضر ، ومن اتخذه رباً فقد كفر بالله شركاً ، فالنحيب فعيل بمعنى مفعول ،
أى منحوت من الحجارة ، وهى لا تملك ضراً ولا نفعاً ؛ قال : تسلم من
حرسقر ، والمراد بها النار والعياذ بالله ، وسقر علم عليها ، والمعنى :
بتركك ذلك تسلم من عذاب الله جل جلاله .

قال مازن : ففزعت لذلك ، أى راعنى ذلك الصوت وأفزعى
ذلك الكلام ، قال مازن : وقلت إن هذا لعجب أى من الأمور التى
يتعجب منها الإنسان ويستغربها ، حيث يخرج مثل هذا الكلام من الصنم
المعبود ، فينعى لعباديه عبادته ويزعزع الذين اتخذوه إلهاً ، وهذا من
حناءة الله لعبده مازن ومن رحمته التى يسوقها إليه ، فيستقبلها باعتبارها
رحمة من الله عز وجل .

قال مازن : ثم عترت بعد أيام عترة ، أى ذبحت ذبيحة أخرى لذلك
الصنم ، أى كانوا يقتربون إلى أصنامهم بذلك . قال فسمعت صوتاً
من الصنم ، أى كأول يقول : أقبل إلى أقبل تسمع مالا تجهل ،
هذا نبي مرسل جاء بحق منزل آمن به كى تعدل عن حر نار تشعل
وفودها بالجنادل ، فكان هذا الكلام كالشعر لكنه ليس بشعر ، بل هو
أشبه بسجع الكهان .

قال مازن : فقلت إن هذا لعجب وإنه لخير يرادبى ، قال ابن برهان
الدين : أقول : ورأيت فى بعض السير تقديم هذه الأبيات أى التى مرت
عليك آنفاً على ما قبلها ، وأن مازنا قال ثم سمعت صوتاً أبين من الأول
وهو يقول يامازن اسمع إلى آخره والله أعلم .

قال مازن : فبينما نحن كذلك أى على هذا الحال الذى وقع لنا من الصنم ،
إذ قدم رجل من أهل الحجاز ، قلنا له ما الخبر؟ قال : قد ظهر رجل

يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله ، فقلت هذا نبأ ما سمعته من الصنم ، قال فنزلت إلى الصنم فكسرتة جذاذاً أى قطعاً ، وركبت راحلتى وأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فشرح لى الإسلام وأسلمت ، وأنت خير أن مثل مازن وهو زعيم قومه لا يخرج من عمان إلى أرض الحجاز حتى يأتى المدينة المنورة إلا بركب يطمئن به ، وإذا كان أسلم مازن مع ركبه كانوا جملة يعدون فى صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، إلا أنا لم نجد من يذكر أسماء الرجال الذين كانوا معه ، ولا يخفى عليك أبها القارى الكريم ونحن نأخذ القضية من رواية الشيخ الحلبي ، وكان ينبغي أن يأخذها هو وأمثاله منا نحن ، لكننا أهملنا حقوقنا ، وبعد ما ضاعت ، عدنا نسأل عنها غيرنا ، قال وقلت أى بعد ما أسلم :

كسرت ناجر أجداذاً وكان لنا

رباً نظيف به ضالا بتضال

بالهاشمى هدانا من ضاللتنا

ولم يكن دينه منى على بال

أى لم أكن محتسباً لدينه ، وأراد بالهاشمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أى لم يسبق لى علم بدينه ثم قال :

باراكبا بلغن عمراً وإخوتها

أنى لمن قال ربى بادر قالى

قال : وعنى بعمر وإخوتها بنى خطامة وبنى الصامت ، من طى وهى أى بنو خطامة من طى ، وقد أوردنا نسب مازن وبنى خطامة وإخوتها فى كتابنا (إسعاف الأعيان بأنساب أهل عمان)^(١) المطبوع فى قطر ، وفى كتابنا الثانى فى الأنساب أيضاً المسمى (رعاية الأحساب بحماية الأنساب)^(٢)

قال ابن برهان الدين الحلبي : وهذه الأبيات أى اللامية ساقطة فى أسد الغابة ، قال مازن فقلت يا رسول الله إني مولع بالطرب ، أى مغرم به وبشرب الخمر ، واهلوك أى الفاجرة ، والمراد بها الزانية من النساء التى تمایل وبتثنى عند جماعها ، وقيل الساقطة على الرجال أى لشدة شبقها ، وألحت أى دامت علينا سنون القحط ، أى أصيبوا بمحل قحط ، وسمى قحطاً لأنه يقحط الأمة أى يطردها من بلادها ، يعنى ، أن أعوام قحط مرت عليهم :

قال مازن : فذهبن بالأموال وهزلن الذرارى والعيال ، أى جاعوا حتى أصيبوا بالهزال من الجوع ، قال وائس لى ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتينا بالحيا ^{الحيا} والخصب ؛ ويهب لى ولدا : وفى رواية زيادة تقر به عني : فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرّام والحلال وبالخمر ، رياء لا إثم فيه ، وبالعهر - أى الزنى - عفة الفرج وأته بالحيا - أى المطر - وهب له ولدا تقر به عيه ^{إليه} .

قال مازن : فأذهب الله عني ما كنت أجده ، وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا وأخصبت عمان يعنى قريته وما حولها من قرى عمان ؛ قال وتزوجت أربع حرائر ! ووهب الله لى ولداً سميته حيان أى تفاؤلا بالحياة لاسيما أن اسم اثنين من أجداده أيضا كل واحد منهما حيان . وهما الرابع والسادس ، فأحيا به ذكرهما قال وأنشأت أقول :

إليك رسول الله نخب مطبتي

تجوب الفيافي من عمان إلى العرج

والعرج موضع على طريق المدينة أو أراد بذلك المدينة :

لتشفع لى يا خير من وطئ الحصى
فيغفر لى ذنبى فأرجع بالفالج^(١)

أى بالفرج والفوز بالمطلوب . قال مازن :

إلى معشر خالفت فى الله دينهم
فلا دينهم دبنى ولا شرحهم شرحى

أى يعنى بذلك قوله حين نفروا منه بعد إسلامه وأنبوه كما حكى ذلك
عنهم ، لا شكلهم شكلى ولا مذهبهم مذهبى ولا طريقهم طريقى ، أنا
مباين لهم : قال مازن :

وكننت امرءاً باللهو والخمر مولعا
شبابى حتى آذن الجسم بالنهج^(٢)

بالبلا والتغير : قال مازن :

فبدلنى بالخمر خوفاً وخشية وبالعهـر إحصاناً فحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى فلهـ ما صوى ولله ما حـجى^(٣)

وهذا تحدث بالنعمة .

قال مازن : فلما رجعت إلى قومي - أى بعد - إسلامى أنبوني ،
أى عذفوني ولا موني وشتموني وأمروا شاعرهم فهجاني ، فقلت إن هجوتهم
فإنما أهجوا نفسى ، أى لأنهم منى وأنا منهم ، فأثر الإعراض
عن مشاكلتهم والإغضاء عن مباراتهم ، قال وتنحيت عنهم ، قلت
ليس هذا بمستغرب ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان

مقرونا بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة ، وقد وقع عليه من قومه ما وقع مما يعرفه كل الناس حتى تأمروا على قتله ومن مال إليه ورغب في دينه ، فله حظه مما ابتلى به عليه الصلاة والسلام ، وهذا هو شأن الأمور في أول وقوعها حتى يستقر قرارها ، وكأنهم كان لهم شاعر معروف ولم نقف على اسمه ، وليتنا عرفناه ، فنضيفه إلى أضرابه في كتابنا : (زهر الخمايل في ذكر شعراء سمائل) .

قال مازن : وابتنيت مسجداً أتعب فيه ، قلت هو المعروف في سمائل باسم مسجد المضمار قريباً من محلتنا ، وهو الذي جدد بناءه الآن سلطان عمان الخالي قابوس بن سعيد ، وقد أحسن في بنائه كل الإحسان .

قال ابن برهان : لا يأتي هذا المسجد مظلوم فيتعب فيه ثلاثاً ويدعو على من ظلمه إلا استجيب له ، ولا دعا ذو عاهة من برص أو غيره إلا عوفي . قال ثم إن القوم ندموا ، أي قوم مازن ندموا على ما فعلوا في حق هذا الشيخ الصحابي المؤمن المخلص ، وأي إخلاص أكبر من إخلاص مازن الذي كسر معبوده وركب راحلته يقطع بها الفيافي والقفار ، قاصداً النبي عليه الصلاة والسلام . قال مازن بعد أن قال وندموا على ما فعلوا وطلبوا مني الرجوع إليهم ، فأسلموا كلهم ، وبهذا يكون الإسلام في سمائل بواسطة هذا الشيخ الصالح الذي طهر نفسه من أوضار^(١) الفساد والضلال ، ورجع إلى الله مخلصاً له حتى رأى أثر إخلاصه في حياته ومسجد المضمار معروف بإجابة الدعاء في سمائل ، ولا زال أهل الفضل يسرون إليه في الظنم فيتعبدون فيه ويدعون الله عز وجل في مهماتهم ، فيجيب دعاءهم والحمد لله :

(ع)
قال الإمام السالمى رحمه الله في صدر الجزء الأول من تحفة الأعيان :

وفي حديث مازن بن غضوبة ذكر أن أول من أسلم من عمان بن غضوبة بن سبيعة بن شماسه بن حيان بن المر بن حيان بن أبي بشر بن خطامة ابن سعد بن نهان بن عمرو بن الغوث بن طي ، وكان من أهل سمائل ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند أول ظهور الإسلام بعمان ، قلت المعروف أن مازنا أتى النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة ، فلعله أتاه في أول نزوله بها كما يدل عليه قوله رحمه الله عند أول ظهور الإسلام ، فإن ظهوره في مكة كان كتماناً لا ظهوراً بحسب الاصطلاح ، قال وأسلم ودعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل عمان بخير ، ثم ذكر بعد هذا السبب الواقع على مازن من الصنم إلى أن قال له القادم من الحجاز ما قال كما ذكرنا سابقاً ، قال وفي العتي أن القادم قال ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف يقول لمن أتاه : أجيئوا داعي الله فلست بمتكبر ولا جبار ولا مختال ، أدعوكم إلى الله وترك عبادة الأوثان ، وأبشركم بجنة عرضها السموات والأرض ، وأستنقذك من نار تلظى لا يطفأ هيبها ولا ينعم من سكنها .

قال مازن : فقلت هذا والله نبأ ما سمعته من الصنم ، أي فكان مصداقاً لذلك الكلام الذي سمعه من صنمه . قال فوثبت إليه وكسرتة جزاءً وركبت راحتي حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلت والله إنها لرحلة ميمونة أبشريا مازن بعدها بخير . قال فسألته عما بعث له فشرح لي الإسلام . وهذا يدل أن رسول الله عليه الصلاة والسلام سر بمقدم مازن ورأى إقباله قابلاً لأن يشرح له الإسلام :

فكانه أفاض عليه التعاليم اللازمة ، وألقى إليه قواعد الإسلام التي لا بد منها إذ جاء من شقة بعيدة ، ولابد أنه يلزم أن يزود بما يقتضيه المقام ، لأن مازناً جاء متهيئاً لهذا الصدد مستعداً له راغباً فيه ، ولذلك قال على أثر التعاليم الملقاة إليه ، ونور الله قلبي للهدى ، ثم سرد الإمام نور الدين رحمه الله القضية نقلاً عن العتبي^(١) ، ولم نعرف العتبي هذا ، ويظن بعض الناس أنه العتبي^(٢) وليس كذلك ، ولعل العتبي المؤرخ القديم ولم يكن عمانياً ولهذا حاج الحال إلى أن ننقل القضايا العمانية عن رواية أجنب عن عمان ، كالطبري^(٣) وابن خلدون^(٤) وصاحب الكامل^(٥) وصاحب المروج^(٦) وأضرابهم ، الذين هم في غير عمان ، فتأتيهم الأخبار عن عمان منقلوبة ومحرفة ومزايدها فيها ومنقصا منها ، وساقطة الأهمية ومبهمة .

وقد تكلمنا عن هذه الأحوال في كتابنا عمان عبر التاريخ^(٧) ، فلعل غافلاً يتنبه أو ناسياً يتذكر أو جاهلاً فيتعلم ، فإن الإنسان خلق قابلاً للتعليم في كل آن :

وقول مازن : وحججت حججاً فدل ذلك على أنه عاش في الإسلام عهداً ، لكننا لا نعلم ذلك في حياة النبي أو بعده ، وقد علمنا أنه جاء عمان بعد إسلامه وصار بينه وبين قومه ما صار ، ثم تراجع قومه عما كانوا عليه ، وراجعهم مازن وكأنه عاد إلى النبي عليه الصلاة والسلام في العام القابل ، ولعله عاد إليه حاجاً كما هو المفهوم :

قال مازن : وأنصبت عمان أي ببركة دعاء النبي عليه الصلاة والسلام ، قلت وكان السبب في ذلك مازن ، حيث طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان الخصب في تلك السنة وما بعدها كما صرح به مازن نفسه ، قال وأقبل عليهم ، أي أهل عمان - أقبل عليهم الخلف والظلف وذلك كناية عن نماء المواشي إبلا وبقراً وغنماً ونحوها . قال :

وكثر صيد البحر وظهرت الأرباح في التجارات ، وآمن عدد من أهل عمان ، يعنى أسلموا على يديه إذ كان رحمه الله داعية لهم إلى الإسلام .

قال مازن : فلما كان في العام المقابل الذي وفدت فيه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فقلت يا المبارك ابن المباركين الطيبين ، قد هدى الله قوما من أهل عمان ومن عليهم بدینک، وهذا يصحح ما فهمناه ، فإنه دال بمفهومه ومنطوقه أن كثيرا من أهل عمان قد أسلموا على يد مازن المذكور ، فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مازن المذكور : ديني دين الإسلام سيزيد الله أهل عمان خصباً وصيداً ^{الحكم} قال عليه الصلاة والسلام لا يطوبى لمن آمن بي ورآنى ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ولم ير من رآنى وأن الله سيزيد أهل عمان إسلاماً ^{١١}

هذه رواية مازن في إسلام أهل عمان ، وعليه فهو صحابي صحيح الصحابة من غير شك رحمه الله ورضي عنه ، ومن حيث إن مازناً كان من أهل سمائل ، ولم يكن كرسي الملك إذ ذاك بها ولا بنزوى ^(٥) ولا بمسقط ، وإنما كان بصحاراً وبين صحار وسمائل مسافة نائية والطريق غير آمن ، حيث إن الناس في جاهلية ، كتب النبي عليه الصلاة والسلام إلى جيفر وعبد أبي الجلندى ملكي عمان إذ ذاك في إسلامهما ، ولا شك أن إسلامهما يعم قومهما في عمان ، ولعل النبي عليه الصلاة والسلام سأل مازناً عن زعماء عمان إذ ذاك ، فأخبره عنهما وأن بينه وبينهما مسافة نائية لا يعلم مازن في سمائل عنهما شيئاً ، وربما هما لا يعلمان عن ناحية سمائل وما إليها شيئاً ، لأن الملوك جل أنظارهم إلى العواصم غالباً . ولا ينظرون إلى ناحية الديانة إلا ما شاء الله ، فإن أيام الملوك تضم أرهاطاً متباعدة وأممًا مختلفة في الديانات ، وجل همهم ما يصلح الملك كيف كان وأياً كان ، وهذا شأنهم في كل الأجيال فلذلك كتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جيفر وعبد وليس ذلك الآن من صدقنا . وإنما بيناه كما يلزم في التاريخ العماني العام ، وهنا إنما نحرر معنى الصحابية لأهل عمان :

الصحابي الثاني عبد الله بن وهب الراسبي:

كان عبد الله بن وهب الراسبي من أهل عمان ، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جملة من وفد عليه من أهل عمان ، وكان معروفاً بالزهد والعبادة حتى لقب بذي الثغفات كما وصفه بذلك الكثير ، وكان إمام أهل النهروان إذ اختاروه لفضله وكرمه وشجاعته ، وكان أباهما ونفر منها أولاً ولم يقبلها ، ولما رأهم يتدافعونها من واحد إلى آخر قال هاتوها والله لا رغبة فيها ولكن للقيام بحقوق الله كما يلزم ، قال بعضهم: عبد الله بن وهب الراسبي من الأزد ومن أئمة الأباضية ، عرف بالعلم والرأى والفصاحة والشجاعة ، وله في العبادة الأعاجيب ، أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشهد فتوح العراق مع ابن أبي وقاص ، وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه ، وكان من جملة من أنكر التحكيم ، قتل في النهروان .

قال غيره: وإمام المسلمين يعني أهل النهروان عبد الله بن وهب الراسبي المعروف بالعبادة والزهادة والرشد والشجاعة وعزيمة الصبر على الحق ، ينظر الجنة من صفحة سيفه يرى الموت في طاعة الله أشهى من الأمر^(١) ، كان عبد الله بن وهب الراسبي أزدياً بايعه المسلمون عن رضا ورغبة منهم ، فيه لما يعلمون من صلاحه للدين والدنيا ، ولما بايعوه بعثوا إلى أصحابهم مسرورين ببيعتهم مبتهجين برضاه وقبوله على يقين واطمئنان أن علي بن أبي طالب لا يعود يطالبهم بإمامة أو يدعيها ، لأن المسلمين لما بايعوه لم يكونوا مجبورين ولا مقهورين على إمارته ، لأن الإمامة لم تكن لأحد بغير رضا من المسلمين ، وإذا رضى المسلمون أحداً لإمامتهم ثم

وأوأمه ما يخالف الحق فلهم خلعه وعزله عن الأمر ، لأن الإمامة لم تكن ميراثاً لأحد ولا ملكاً لإنسان أو طائفة ، ولذلك لما خالف عثمان قاموا عليه ليعتزل أو يتوب مما اقترف ، ولما لم يفعل شيئاً من ذلك قتلوه في بيته انتقاماً للحق ، وكان على بن أبي طالب من جملة القاتلين ، إذ كان على الأقل راضياً بقتل عثمان ، ولو كان عثمان غير مستحق للقتل لكان القاتلون له ظالمين ، وكان على شريكاً لهم في ظلمهم حيث لم يدفع عنه ، وكيف يمكن قتل عثمان لو لم يكن مستحقاً للقتل ، وفي المدينة مائة ألف سيف ، فمن ذا الذي يستطيع قتل الإمام في مأمنه والحال هذا ، ولذلك لما رأى النهروانيون الخلل على راضياً بسبب العهد الذي أعطاه وهو الرجل الدين لا يعود يطالب بالإمامة فتسارع القوم إلى إقامة إمام لهم خوفاً أن تفرق للكلمة فبايعوا عبد الله بن وهب (١)

الثالث أبو العباس صحار بن العباس

لا يخفى أن أبا العباس صحار المذكور من أجلة رجال المذهب ، إذ أخذ عنه المسلمون أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فروى عنه ثلاثة أحاديث وهو شيخ أبي عبيدة مسلم ؛ وهو أول من ألف في الأدب وله تأليف في أمثال العرب ، حكى ذلك عنه أبو النديم^(١) وكان من خاصة أبي الشعثاء ، بل من أخص أصحابه رضى الله عنهم ، وهو من عبد القيس عمانى الأصل ، كان رجلاً ثبتاً في الحق عمدة في الدين ، لا يقل عن إخوانه رضى الله عنه ، وقد فاز بحكم الصحبة إذ رأى النبي عليه الصلاة والسلام وروى عنه ، وقد نوه به العلماء في مقامات لها أهميتها ، ولا يزال يعد في طليعة الركب المسلم وفي موكب العلماء الذين هم الحجة ، وكان في شهير النقل أنه تابعى كأبي الشعثاء ، وجعفر بن السماك^(٢) وأبي عبيدة والربيع بن حبيب ، ثم ظهر بتتبع التاريخ أنه صحابي ، فما ورد في بعض الآثار أنه تابعى فذلك أصل هذا القول .

وإليه أشار الإمام السالمى رحمه الله كذا صحار ، وكذلك جعفر هم تابعون أخذوا عن صحب محمد ، صلى الله عليه ربي ، والصحيح أنه صحابي جليل^(٣) ، وهو عمانى مرضى وله في الأثر العمانى أقوال وهو من المعتمد عليهم ، لأنه عرف بالفضل وشهر بالعدل وتولاه حملة العلم الذين هم الحجة بعد الشيخين أبي الشعثاء وأبي عبيدة رضى الله عنهما ، وهو كما قلنا أحد شيوخ أبي عبيدة وعنه أخذ الكثير وهو من أجلة رجال المسلمين في الصدر الأول رحمه الله ورضى عنه .

وفي حاشية القواعد^(١) صحر العبدى من أعلام الإسلام في القرن الأول ، كان في العلم غاية وممن يدعو إلى الله على بصيرة ، ويدد في العقائد طويلة ، أخذ العلم عن جابر بن زيد وكان شيخاً لأبي عبيدة مسلم الإمام الثانى للمذهب الأباضى :

قال أبو سفيان^(٢) وأكثر ما حمل أبو عبيدة عن جعفر بن السمالك وصحر العبدى وكاننا من أئمة المسلمين وقادتهم :

الرابع كعب بن برشة الطاحي^{١١}

كان كعب بن برشة العماني رحمه الله ممن يحسن اللغات الفارسية ، ولما شاع خبر النبي بعمان وأسلم أهل عمان بدعوة النبي عليه الصلاة والسلام بواسطة مندوبه عمرو بن العاص السهمي إلى جيفرو عبد ، وأنهما لما أسلما أرسلتا إلى الفرس الباقيين في صحار بمدينة دستجرد إما أن يدخلوا في هذا الدين وإما أن يرتحلوا من البلاد ، وإما أن يستعدوا للحرب ، فأراد رئيسهم مشافهة الملك في فارس لهذا الصدد . فقال لهم الملك : انظر رجلا عربيا فارسيا ، أي يحسن الفارسية كما يحسن العربية فيما يتحمله من الطرفين ، أمينا في نفسه على ما يتحمل فيؤديه بأمانة ، ف وقعت خبرتهم على كعب المذكور فأرسلوه إلى الملك بفارس ، فأرسله الملك إلى المدينة ليتعرف خبر هذا النبي . فجاء المدينة فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و علم الصفات التي تذكر في النبي الذي يبعث آخر الزمان ، فأسلم كعب المذكور على يديه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجع مسلماً فأخبر الفرس بصحيح خبر النبي عليه الصلاة والسلام ، وأنه نبي من غير شك في نبوته ، وقد أسلم على يديه وبنو طاحية من الأزد من طاحية بن سود أو أسود بن الحجرين عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء ، وقد وضعت نسبهم في رعاية الأحساب فهو أزدى عماني ، كان عمدة ثقة في الدين من الرجال المعدودين والأبطال الذين لا تقتحمهم العيون ، ورجال عفاف هذا غالهم لاسيما في ذلك العهد .

الخامس أبو شداد الزماري^(١)

كان أبو شداد رجلاً عُمانيّاً يأتي ذماراً من أرض اليمن ، إذ كان
[الأنصال بين عمان واليمن مفتوح الأبواب ، وبطبيعة الحال كانت عمان يمانية
حسناً ومعنى منذ عهد التاريخ ، وكان أبو شداد من رجال الإسلام ، أسلم
على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامه : ذكر في الاستيعاب
في عداد الأصحاب وهو عُماني وإن رام بعضهم يدفعه عن عمان ، فكم
راموا دفع رجال أجلاء عن عمان مع أنهم من عمان حسداً من عند
أنفسهم ، وتشبهوا بمثل ما هو أوهن من بيت العنكبوت ، وهو قول صاحب
الاستيعاب : حيث قال أبو شداد الزماري العُماني سكن عمان . قال
الذي ساءه أن يكون الرجل من عمان لعله من اليمن فسكن عمان ، قلت
ما الذي كلف هذا المنتطح أن يرد ما لا يعلم بل عليه أولاً أن يعلم ، ثم يقول
بعد ذلك ما شاء عن علم :

ولقد ردّ كثير من حسنة عمان كل شرف لعمان وهو بما لم ينالوا ،
ولكن القضاء أصبحت تلقمهم الحجر الخشن ، وظلّوا ينادون بأهل عمان
الذين كانوا بالأمس ينادون أنهم ليسوا من عمان ، وأصبح التاريخ العُماني
يفد إلى عمان من عدة أمم ، وذكروا لعمان لم يعلم به العُمانيون أنه من عمان
والحمد لله .

الحلقة الثانية

حلقة التابعين رحمهم الله

لا يخفى أن حلقة التابعين من رجال الدين العمانيين يدخل فيها الكثيرون وفي مقدمتهم الإمام الأكبر والخبير الأنور أبو الشعثاء جابر بن زيد رحمه الله ورضي عنه ، كان إمام التابعين وسيد العلماء العمانيين الذي عرفه الموافق والمخالف ، واعتمد عليه كل من عرفه من أهل العلم ، وقد وضعنا ترجمته في ما مضى من كتبنا : « كالعُرى الوثيقة »^(١) ، وإزالة الوعناء عن أتباع أبي الشعثاء^(٢) ، وأصدق المناهج وغيرها^(٣) .

وقد عرفه الخاص والعام فلانعيد فيه الكلام بأكثر مما مضى ، وفيه اغنية إن شاء الله ، وهو شيخ أبي عبيدة مسلم الإمام الثاني من أئمة الأباضية ، الذي أخلف أبا الشعثاء في درجته ، فكان مرجع المسامين وشيخ الربيع بن حبيب^(٤) رحمه الله ، راوى المسند الصحيح الذي شهد بصحته أهل الخبرة بعلم الحديث ، وشيخ ضمام بن السائب الأزدي العماني^(٥) ، ومن التابعين ملك عمان عبد بن الجلندي ، والركب الذي قدم معه على أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

ولاشك أن أهل عمان تابَعوا على حضيرة الخلافة وكثر واردهم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ومن مشاهير التابعين من أهل عمان : كعب بن سوار الكندي العماني^(٦) الذي ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء البصرة في خبر طريف من طرف الأدب ، لا يسع المقام لإيراده ، وقد عرفه أهل

الأدب كان له معه من بدائع الاستخراج الوعى ، وكان أول من قدم البصرة من أهل عمان بعد تمصيرها :

ومن التابعين من أهل عمان : جعفر بن جُثَم العتكي^(١١) ، وأبو صفرة ساراف ابن ظالم الأزدي^(١٢) ، ومن التابعين من أهل عمان يبرح بن أسد^(١٣) الذى أدخله عمر على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبى بكر رضى الله عنه ، وقال هذا من أهل الأرض التى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيها : إني لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح البحر بناحيتهما ، لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولا حجر^(١٤)

ومن التابعين ، إمام أهل الحديث والمقدم عليهم بالسبق : أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو ، وقد وضعنا ترجمته فى عدة كتبنا وهو من تلامذة أبى عبيدة رضى الله عنه ، كما أنه من تلامذة جابر بن زيد ، وكذلك أبوه حبيب بن عمرو من تلامذة أبى الشعثاء ، إلا أن الربيع اشتهر بالمسند .

ومن التابعين : ضمام بن السائب رضى الله عنه ، وكان من نذب الأكبر من الازد من أهل عمان ، كان أحد رواة جابر بن زيد رحمه الله ، أخذ عنه وقد أخذ الربيع أكثر ما أخذ عن ضمام ، ولكن روايته عن ضمام تولاهما أبو صفرة عبد الملك بن صفرة ، فلم يوفق الله لتدوينها ونشرها لينتفع بها الناس ، وبقيت مبعثرة فى آثار المسلمين ، ومن الممكن تتبعها وجمعها فى كتاب مستقل ، وقد أخبرنا الجماعة إخواننا من أهل المغرب أنها موجودة عند أحد شيوخ العلم هناك ، فحضرناهم على نشرها بالطبع ليعم نفعها ، فعسى أن يقدر الله وخدمة العلم من الجهاد الأكبر فى نظر العلماء ، وضمما هذا من فحول العلماء الميامين الذين يعول الناس على منقولهم ويتقون أيضاً بمعقولهم ، إذ كانوا السلف الذى لم تشبه شائبة سوء ،

ولم يؤثر عنهم غير المرضى منهم في الدين ، فليس ضمام بأقل من الربيع ، إلا أن الربيع كتب له التوفيق فيما جمع عن مشايخه ، ولم يكن ذلك لضمام الهام العالم ، وكذلك جعفر بن السماك^(١) رحمه الله من التابعين المرضيين من أهل عمان ، ومن يعتمد في العلم ويؤخذ عنه في المذاهب وأشار إليه الإمام السالمى رحمه الله في مقدمة شرح المسند^(٢) ، وفي الجوهر أيضاً حيث يقول كذا صحاح وكذلك جعفر^(٣) إناخ رحمهم الله ورضى عنهم .

ولنما ذكرنا مشاهيرهم الذين لهم اليد الطولى في العلم والعمل ، وتركنا غيرهم ممن هم دونهم في المنزلة وهم كثيرون يحتاجون إلى كتاب خاص يحوى ذكرهم ويجمع أخبارهم وعمى أن يوفق الله لذلك في آونة أخرى وهو الموفق للخير ، حده .

الحلقة الثالثة

في مشاهير أهل عمان في الصدر الأول

اعلم أن مشاهير أهل عمان في الصدر الأول كثيرون، لكننا نذكر في هذا الكتاب أشهر مشاهيرهم طلباً للاختصار ، فإن لكل وقت هواية ، وهواية وقتنا الكتب المختصرة ، والتي يسمونها كتاب جيب ، ومجاعة الوقت أمر مطلوب ، لأن المؤلف لا يؤلف لنفسه ، وإنما يؤلف لأهل وقته فيراعى رغبتهم ويتطلب محبتهم فيما يرغبهم ، حتى لا يسأم القارئ ولا يضجر المطالع ، ولذلك راجت في وقتنا المجلات لصغر حجمها ويسر مؤنتها ، وعليه فنقول :
 من أشهر مشاهير أهل عمان في الصدر الأول : الخليل بن أحمد الفراهيدي^(١) الذي عرف في الأمة بشهرة عالمية في علاميته وزهده وأمانته ، وهو الذي عرفه أهل الأدب بأنواعه ، وسامحوا له ورضوا به حكماً عند اختلافهم ، ونزلوا إلى قوله فيما يقول ، وإلى فعله فيما يفعل ، وقد وضع ابن خلكان^(٢) له ترجمة حافلة ذكر فيها خصاله وأعماله وزهده وورعه ، وقال فيه الإمام السامى رحمه الله : ومن أهل عمان الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وكان من أهل ودام من الباطنة ، خرج إلى البصرة وأقام بها فنسب إليها ، وهو صاحب كتاب العين^(٣) الذي هو إمام الكتب في اللغة ، وماسبقه إلى تأليفه أحد ، وإليه يتحاكم أهل العلم والأدب فيما يختلفون فيه من اللغة فيرضون بحكمه . ويسلمون ، وهو صاحب النحر وإليه ينسب ، وهو أول من بوبه وأوضحه ورتبه وشرحه ، وهو شيخ سيدي^(٤) في النحو .

وكان قد أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي^(٥) واضع هذا الفن ، وهو صاحب العروض والقوافي ، فإنه استخرجه ابتداءً ، ولم يكن له قبل

الخليل بن أحمد وجود ، وقال ابن خلكان : لم تخرج دولة الإسلام أعجب من الخليل بن أحمد الذى أخرج علم العروض من وقع مطرقة على طست ، وهو واضح النقط فى الأحرف ولم تكن قبل منقوطة ، وهو واضح الشكل ، أى حركات الإعراب ، قال الإمام : والناس تبع له وله فضيلة سبق فى هذا المضمار والتقدم إليه ، قلت ولولم يكن للعمانيين غيره لكان كافى فى الافتخار ، ومن أراد استقصاء ترجمته فعليه بابن خلكان وهو شيخ أبى الليث السمرقندى^(١).

ومن أشهر مشاهير أهل عمان فى العلم والأدب : أبو بكر أحمد بن محمد ابن أبى الحسن بن دريد الأزدي العماني^(٢) ، من أهل قذفع من شمال عمان ، وهو صاحب كتاب الجمهرة وشهرته تغنى عن ذكره ، وقد وصفه من عرفه بأنه من أبدع ما ألف فى الأدب ، ومن أروع ما عرف فى الفن ، فهو الكتاب المعتبر فى فنه والمعول عليه عند أهله ، وله مصنفات عدة ذكرها مؤرخو حياته وواضعو ترجمته لانطيل بذكرها ، فإن الرجل أشهر من نار على علم ، ولا نلتفت إلى ما يرميه به حاسدوه ، وما يقوله فيه أعداؤه الذين لم يدركوا شأوه ، قال الإمام : وهو الخطيب المذكور والشاعر المشهور والفصيح الذى يقف عند كلامه البلاء ، ويعجز عن آدابه الأدباء ، ويستعير منه الفصحاء ، ويستعين بكلامه الخطباء وهو خطيب فى شعره ومصقع فى خطبه ، وقودة فى أدبه ، وحكيم فى نثره ومجيد فى شعره لازيادة عليه فى فنون العلم والأدب .

ومن أشهر مشاهير علماء أهل عمان : أبو الحر على بن الحصين العنبري^(٣)

✓ (١) أبو الحر على بن الحصين العنبري رحمه الله كان من أهل مكة وكان من علماء الإباضية المخلصين ولم يكن عمانياً وأن القول بأنه عماني وقع سهواً ، من الناسخ أو من النازل .

أحد العلماء الأعلام الذين لهم الشرف والشأن بين أهل عمان ، وكان رحمه الله من الشراة من أصحاب عبد الله بن يحيى الكندي، وقُتل في مكة، تحت راية أبي حمزة الشاري الذي (١) ... التاريخ رحمهم الله .

ومن مشاهير أهل عمان في الصدر الأول : أبو عبيدة الصغير عبد الله ابن القاسم^(١١) من علماء القرن الثاني ومن تلاميذ الربيع^(١٢) ، لقب بأبي عبيدة الصغير تمييزاً بينه وبين أبي عبيدة مسلم ، كان ممن حاز قصب السبق في حلبة الرهان علماً وعملاً ، وخاض في بحور الزهد والتقوى شاباً وكهلاً ، وكانت لإقامته بمكة ، كان عزباً ثم تزوج غنية موسرة ، وكان بمكة حين مات أبو جعفر المنصور^(١٣) فأغلقت الأبواب أي أبواب المسجد لأخذ البيعة .

وكان أبو عبيدة والفضل بن حنطب^(١٤) ووائل^(١٥) وعلى الحضرمي معهم فلطف الله بهم فنجوا ، فقبل لأبي عبيدة : ماذا ترى لو أخذت عليك البيعة ؟ فقال : تذهب والله نفسى قبل أن تؤخذ . ذلك لشدة ورعه وزهده وعدم هوائه في الحق .

ومنهم : حيان الأعرج^(١٦) من علماء القرن الأول ، وكان كما قال الشماخي^(١٧) فيه : من العلماء الراسخين ومن أهل التقوى والدين ، ومن أكبر من صاحب جابر بن زيد وأخذ عنه ، فهو أكبر من أبي عبيدة مسلم سناً ، وكان داعياً إلى الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، ممن يميل في فتواه إلى التسهيل والتيسير ، وينكر على أبي عبيدة ، تشدده ، وكثيراً ما يقول : وأقد أشقانا الله في ديننا إن كان الأمر كما يقول أبو عبيدة ، يقول ذلك

فبرماً من تشدد أبي عبيدة ولكل واحد من الشيخين نظره فيما انجه له
ورحمهم الله :

ومهم : ابن عبد العزيز هو عبد الله بن عبد العزيز ^{٢٩١} من علماء القرن
الثاني من الذين تخرجوا على أبي عبيدة ، وجمعتهم والربيع حلقة درسه ،
وتلاميذ أبي عبيدة على رأسهم الربيع ، وهو من أكبر رجال العلم ومن
أجلهم شأناً فيه :

ومهم أبو نوح صالح الدهان ^{٢٩٢} أحد علماء القرن الأول ، كان شديد
الورع غزير العلم ممن أدرك أهل العلم وأخذ عنهم ، أخذ عن جابر
ابن زيد وغيره وكان أحد شيوخ أبي عبيدة مسلم ، أخذ عنه أكثر مما
أخذ عن جابر ، ومع ذلك فهو يحترم أبا عبيدة ويفتي هذا بمحضره ،
وإن ظل ينكر عليه تشدده ، كما كان ينكر عليه رفيقه حيان الأعرج ،
كان أبو نوح كثيراً ما يقول ، إذا بلغه عن أبي عبيدة تشدداً : ألم أنكم
يامعشر الفتيان أن تسألوني إذا كان أبو عبيدة حاضراً ، وهكذا نجد من
بين من تلقى عن جابر من يميل إلى التيسير كأبي نوح وضام وحيان ومن
يحتج إلى التحري وحمل الناس على الأحوط كأبي عبيدة والربيع ، وقد
أخرج هذا أدمغة عامرة بعلماء مجتهدين ، حملوا الشريعة وأرسلوا أنوارها
إلى أبعاد سحيقة ، فأضاءوا شرقاً وغرباً رحمهم الله ورضى عنهم .

ومهم : أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي ^{٢٩٣} من خريجي مدرسة الربيع
ابن حبيب كعالم حضرموت ، في حين تزخر حضرموت بعلماء الأباضية ،
قال وائل المذكور متحدثاً عنهم : أدركت بحضرموت رجالاً أن كان
الرجل منهم لو ولى على الدنيا كلها لاحتملها في عقله وحامه وعلمه وورعه ،
كان أبو عبيدة الصغير لجلالة قدره وعناوكمه في العالم إذا سئل ربما
أجاب : عليكم بوائل فإنه أقرب عهداً بالربيع .

ومن علماء المسلمين في الصدر الأول : المثني بن معروف^{١١١} من علماء الأباضية ، كان تقياً فاضلاً داعياً إلى الله ، أخذ العلم عن أبي عبيدة وصاحب الربيع ، وكان ذا منزلة سامية عند أبي عبيدة ، لذلك ارتضاه أن يصحبه في موسم الحج ، وإن رآه المثني في ذلك قاتلاً : ما كنت لأفعل أخرج مع الربيع ، والربيع غابة في فضله وسنه وعلمه ، فما أشير عليكم غلاماً حدثاً مثلي ، وفي الربيع كفاية . فإزداد في نفس أبي عبيدة محبة بقوله هذا وإزداد عندهم رضاً ، فخرج الربيع وحده .

ومن علماء المسلمين : شعيب بن معروف^{١١٢} أخو المثني المذكور ، من العلماء الذين أخذوا العلم عن أبي عبيدة وخالفوا الربيع في مسائل معينة كأبي المؤرج^{١١٣} وابن عبد العزيز وحاتم بن منصور^{١١٤} وسهيل بن صالح^{١١٥} ، فرأى أبو عبيدة أن الحق مع الربيع ، ثم رجعوا عن خلافهم ثم عادوا إلى أقوالهم بعد موت الربيع ، والحقيقة أن الأمور الاجتهادية كل يرى فيها رأيه وليس له أن يقلد غيره ولا يستنكر ذلك في الذين ، وليس لأحد أن يتبرم من أحد يخالفه في الأمور الاجتهادية ، فضلاء عن أن يتبرأ أو يتأثر إن كان القصد لله ، وعلى هذا إجماع الأمة وليس لأحد أن ينقض اجتهاد مجتهد مثله في الأمور الاجتهادية كما هو مذهب السلف رحمهم الله .

ومن أشهر مشاهير أهل عمان في الصدر الأول : مصقلة بن الرقبة^{١١٦} الذي اعترف به أهل العلم والأدب ورواة الآثار والأخبار معاً في العالم الإسلامي ، وكانت شهرة مصقلة المذكور بلغت مسامع أبعد العلماء الأجلاء والقادة الزعماء ، كما تحدث عنه أحد علماء الإسلام ، وهو الحافظ أكبر^{١١٧} من ألف في الأدب وذكر أخبار علماء العرب ، وروى أخبار أهل العلم بما لا مزيد^{١١٨}

عليه ، كان مصقلة هذا يخطب الناس قائماً وقاعداً ومجيباً وراداً ومنافساً ومبتدئاً ، فهو العلم الذي يراه أهل العقول من بعيد .

١١٨ وولده كرب بن مصقلة الذي يصح أن يجرى فيه المثل الذي يقول :
التمر دليل على الشجر ، أو المثل الذي يقول : لاتلد الحية إلا حية ،
وهما نزاريان ولهما خطبتا العجوز في الجاهلية والعذراء في الإسلام ،
وشهرتهما تغنى عن ذكرهما ، قال أبو عبيدة الصغير : ما سمعنا مثلهما
في الإسلام .

١١٩ ومن أشهر مشاهير أهل عمان : صمصعة بن صوحان بن زيد الذي
تحدث التاريخ عنه بمالا يزيد عليه أيضا ، وكذلك أخوه^{١٢٠} فهما فرسا رهان
في هذا الميدان عند أهل العلم والبيان ولله درهما :

١٢١ ومن أشهر مشاهير أهل عمان في الصدر الأول : مرة بن البليد ، وهو
من أزد عمان كان خطيباً يسيل سيل الغيث وينطلق انطلاق الجواد ،
لا يتعقد ولا يتردد ، قال الإمام عنه لم يكن أجود في الأرض منه ارتجالاً
وبديهة ، ولا أعجب فكراً ونحيراً منه اه . يتناول المواضع فيشفيها ،
وينصب على القضايا فيقندح النار ويوربها ، ويثر العاطفة ويطفئها ، وكان
رسول المهلب^{١٢٢} إلى الحجاج^{١٢٣} وهو عين المرسل ، فلما نزل بالحجاج ألقى إليه
ما عَجِبَ منه وأجله ووقره .

١٢٤ ومن أشهر مشاهير أهل عمان : عرفة بن هزيمة الباري الذي كان أكبر
قائد في الإسلام ، أرسله أبوبكر رضى الله عنه إلى مهرة وأمره بعد^{١٢٥}
نهاية عمله من مهرة أن يعطف على جيفر بعمان ليكون قوة له على من
خالفه فيها ، وكان عرفة من مقادير الرجال في أحوال شتى ذكرها التاريخ ،

ومن أشهر مشاهير أهل عمان : سيحان بن صوحان الذي ذكر أخباره^{٥١}
أهل العلم في السير .

ومن أشهر مشاهير أهل عمان في الصدر الأول : أبو صفرة ظالم بن
سارف الذي حدث الرواة عنه أحاديث لها أهميتها ابن صبيح بن كندی
ابن عمرو بن عدى من صميم الأزدي ، وهو الذي كان للدولة الأموية من
أعظم قوادها ومن أكبر دعاتها وأعظم أركانها .

ومن أشهر مشاهير أهل عمان : المهلب بن أبي صفرة المذكور المعروف
بجزمه وشجاعته ، وهو الذي استنقذ البصرة من أنيب الأزارقة وحطمهم
تخطيطاً قد عرفه الخصاص والعام ، وقد رد الأزارقة على أعقابهم راغمين
لم ينالوا خبراً ، وكانت له ذرية أكثر من ثلاثين رجلاً يحملون السلاح
معه ، ثم صاروا بعده سادة وقادة وهم الأزدي يعرفهم كل أحد ، وتاريخهم
مملوء ببطولاتهم ، وهم من أنجب الرجال ،

ومن أشهر مشاهير أهل عمان في الصدر الأول : أبو العباس صاحب
الكامل ، إمام في الأدب وقدوة في العلم ، وكتابه الكامل معروف مشهور
مقدم على غيره من كتب الأدب ، وفيه جواهر ثمينة من العلم لا ينبغي أن
يجعلها أحد ، وشهرة أبي العباس العلمية غير خافية وكيف يخفى البدر
في الظلام وهذا كامله الذي أكمله يكفى دليلاً عليه .

الحلقة الرابعة في حملة للعلم إلى الأمة

لا يخفى أن حملة العلم إلى الأمة هم الذين هدى الله بهم الأمة وأبان لها بهم معالم الرشد ، وأوضح بهم مناهج العدل ، وكشف بهم غياهب الجهل ، وأوضح بهم مناهج الإسلام ، وجعلهم الله حجة على عباده وأرشد بهم من كتب الله له الخير في الدنيا والسعادة في الآخرة ، ولقد قاموا بواجبهم الذي احتضنوه لأنهم وحملوه إلى قومهم ، حتى أفرغوه في قوالب الصفا ، ووضعوه في معادن الوفا ، فجزاهم الله على ذلك خير ما جزى عبداً صالحاً في أمته ، وسنفرد ذكر كل واحد منهم في محفل للتعريف بهم بكلمات وجيزة تحمل الاختصار في طياتها ، فلما طالما ذكرناهم في المناسبات اللاحقة بهم فنقول ونخبر الكلام ما قل ودل .

اولهم : الإمام بشير بن المنذر النزواني^(١)

من أهل عقرن زوى كان يسمى الشيخ الكبير ، وهو المراد عند الإطلاق في الأثر العماني ، كان من بني نافع يتصل نسبه إلى صامة بن لوئى بن غالب القرشى كما ذكرناه في الإسعاف والعنوان ، وفي رعاية الأحساب ، وهو جد بنى زياد ، الموجودين بعمان ، وقد ضربت إليه أكباد الإبل في أيامه لطلب العلم ، كان يروى فتاويه عن الربيع عن أشياخه أبى عبيدة وجابر ابن زيد وأبى نوح ، عاش على ذلك حتى توفاه الله إلى رحمته ولم نجد تاريخ وفاته تحقيقاً كزملائه أيضاً .

الثانى : منير بن النير الجعلانى^(١١)

الإمام^(١٢) الثانى هو منير بن النير الجعلانى المعروف بالريامى الذى ينتحاه
في جعلان المسابير ، يقولون هو منا ، والرواجح يقولون هو منا ولم يكن
من الفتيين ، بل هو من بنى حضرمى بن ريام ، عمّر زمناً طويلاً حتى سقط^(١٣)
حاجباه وضاعت رجلاه وبقي لا ينتفع إلا برأيه فأشبهه دريسد بن الصمة^(١٤)
إلا أن ذلك جاهلى وهذا مسلم ، كان غاية في العلم ونهاية في معرفة الحلال
والحرام ، علامة جليل فهامة نبيل ، أنار الله به للأمة السبيل ، وأوضح به
للسالكين الدليل رحمه الله ، توفى شهيداً في وقعة دمان^(١٥) الباطنة تحت راية
الإمام عزان بن تميم^(١٦) في حروب ابن بور^(١٧) لعمان رحمه الله : .

الثالث : موسى بن أبي جابر الأذكاني^(١)

كان الإمام موسى بن أبي جابر أحد فحول العلم وأساطير الشريعة ، عرف بأعماله الزكية وفضائله العلية ، أصبح في الطرف الأركوي مرجع المسلمين وعمدة المؤمنين ، أحيا الله به قلوباً وأمات به بدعا وأقام به للحق أعمدة مكينة في عمان ، فهو العلم المفرد والإمام الأوحى في أقوامه ، رحمه الله . كان من بني ضبة يتصل نسبه إلى سامية بن لوئ بن غالب ، كان أحد أركان دولة الإمام وارث بن كعب^(٢) وموجد موسى بن علي^(٣) لأمه .

الرابع : الإمام محبوب بن الرحيل^١

لما كان محبوب بن الرحيل المخزومي القرشي ابن سيف بن هبيرة أحد أقطاب العلم ، ولم يكن عمانيا ولكنه جاء مع زملائه بصفقة زائر فنزل صحار أيام رُفياها ، وفي عهد زهرتها ، فاستوطنها وألقى رحله بها ، إذ مره حال أهلها إذ كانوا أهل أخلاق وأصحاب أرزاق ، وهى كرمى عمان إذ ذاك ، فشاعت الأقدار أن يعيش بها وذريته وما بلد الإنسان غير الموافق ، جاء هو والربيع وأهله بترغيب الربيع له فى عمان ، ولله تلك الأيام التى يكون من أهلها أمثال الربيع ومحبوب بن الرحيل رحمهما الله ورضى عنهما ، لأنها لأيام عزيزة يتمناها أهل الله ، ولكن قدر الله وقضاؤه لهما السبق على كل شئ .

١٩

الخامس: محمد بن المعلى السكندى^{١١}

كان الشيخ محمد بن المعلى من رجال عمان الأبطال ومن أهل العلم ،
إذ كان أحد حملته ولله ما حمل ولله الحامل ، فإن لله فى خلقه ظناً^(C)
يختصهم برحمته ويمدهم بعنايته وفضاه ، ويصطفيهم من خلقه ،
كان ابن المعلى يصلح لأن يكون إماماً ، ولكنه خاف القصور فأبى وامتنع
من القبول ، هؤلاء الخمسة الذين حملوا العلم إلى عمان كانوا مصابيحها
الذرية وأعمدها المعبرة ، وهداتها للحق ودعائها إلى الله ، وقوام أمرها
بلا اشتباه ، كانوا غراس أبى عبدة رضى الله عنه البطل الذى له
الميزان الراجح والسبيل الواضح ، بهم انتشر العلم فى عمان وبنورهم
اهتدى الناس للحق .

أما حملة العلم إلى المغرب فلإليك البيان عنهم أيها القارئ الكريم ،
فلأنهم كلخوانهم العمانيين إذ الكل وردوا مورداً واحداً ، وكرعوا^(N)
حياض الشريعة من الأعلام الفطاحل ، فقاموا بواجبهم وأدوا حقوق الله
التي كلفهم بها ، وصارعوا الباطل بالحق وأقاموا معالم الدين واضحة
رحمهم الله ورضى عنهم . وكانوا أيضاً خمسة وهم : الإمام
أبو الخطاب ، والإمام عبد الرحمن بن رستم ، وعاصم السدراتى ،
وإسماعيل بن درار الغدامسى ، وأبو داود القبلى النفزاوى ، هؤلاء
الخمسة الذين حملوا العلم عن أبى عبدة رضى الله عنهم إلى المغرب
كما حمل عنه أولئك الخمسة العمانيون إلى المشرق ، فانتشر بهم العلم
وظهر بهم الحق ، وعلت بهم زاوية المسلمين وانتهى بهم دور الجور

وظهر بهم الحق : وعلت بهم راية المسلمين وانتهى بهم دور الجور ، وقامت بهم أعلام الهدى في هذه الأصقاع ، وأمد الله بهم المسلمين مدداً صالحاً لا يزال جارية متواصل الفضائل . ومنفرد لكل واحد منهم محلاً غير متسع المجال ولكن بما يناسب في الحسب من المقال ، والله المستنول التوفيق وله الحمد على كل حال فنقول :

١١
الأول : أبو الخطاب المعافري (١)

كان أبو الخطاب رضى الله عنه من تلامذة أبي عبيدة العلم .
الذى يراه الناس من بعيد كما يراه الناس من قريب ، علم من أعلام
الدين وسيد من سادات المسلمين ، لم تكن همته مقصورة على تلقين
الطلبة دينهم أو مبادئه أو أصوله وفروعه فحسب ، لكنه كان داعية
قوياً لإقامة موازين الحق في الأمة ، واللاهتاف بأمرها في المكروه
والمنشط ، وأن العلم لم يطلب لذاته وإنما يطلب ليعمل به ، وأن من
العمل به أن يقوم رجال الدين بالذب عنه ولرد أهل الباطل عن
باطلهم ، وللانتصاف من أهل الفساد في بلاد الله ، ولإقامة حدود
الله عز وجل ، وإن ذلك لا يتم إلا بالإمام يتجرد لله مع إخوانه الذين
يناصرونه ، فإذا وقع هذا تقدم الإمام رغم أعدائه ، وإلا كان ضعيفاً
مستضعفاً تحت وطأة الظلم والفساد . فلما قرت هذه المعاني في قلوب
أولئك التلامذة الكرام الذين ساقهم الأقدار إلى حيلة البطل الضريع ،
ولما خرجوا عنه خرجوا بنشاط ضخيم ، ولما قروا في أرضهم
قاموا بما في وسعهم ونظروا إلى أبي الخطاب السيد المهام الصالح لهذا
الأمر ، فاعتمدوه من غير أن يعلم عن قصدٍ شيئاً ، ولما تم اجتماعهم
قاموا إلى أبي الخطاب قائلين له مد يدك لنا بياحك بالإمامة ، فلم يشعر
إلا والقوم محيطون به لهذا الأمر ، فلم ير أحداً إلا وهو يقول مد يدك .

(١) كان الإمام أبو الخطاب المعافري من أهل اليمن جاء لطلب العلم من أبي عبيدة
رضي الله عنهما .

لنبايعك ، فلم ير بدأ من الامتثال ، فبايعوه على أن يقيم فيهم كتاب
الله ويحكم فيهم بشريعة الله عز وجل ، ويأخذ بأيديهم إلى طاعة الله ،
ليس لشيء آخر أبداً إلا أن يسير بهم سيرة الخلفاء الراشدين ، ويسلك
بهم مسالك المسلمين ، ويحيي بهم ما أميت من أمر الدين ، وأعلموه
بوصية الإمام أبي عبيدة رضى الله عنه ، وهى إما الإمامة وإما القتل ،
فقبل الرجل لاذ لم ير بدأ من الأمر المطلوب ، فسار فيهم مسير الشمس
فى السماء ، وقام بواجبه الذى تحمله لله وفى الله ، والله الهادى للحق
بهاذنه حتى لقى الله عز وجل .

الثاني: الإمام عبد الرحمن بن رستم^١

كان عبد الرحمن بن رستم أحد الرجال الخمسة الذين تعلموا للسيد أبي عبيدة البطل العليم ؛ والولى الكريم الذى جعله الله العهدة فى الحق والحجة فى الدين ، وعبد الرحمن الذى أمسس تهرت^{الحا} التى سميت عراق المغرب ، كان علامة فحلا فى مقدمة رجال العلم بطلا بين أبطال الإسلام ، تنورت نفسه الطاهرة بأنوار الهدى ، ولا يخفى عليك أنا لا نريد هنا أن نذكر واحداً من حملة العلم ، وإنما نريد أن نعرفهم ، وأما التأريخ لحوادث هؤلاء يستدعى فراغاً واسعاً فنكل ذلك إلى المؤرخين المعنيين بشئون التاريخ عنهم والله ولى كل شئ .

الثالث من حملة العلم للمغرب :عاصم السدراتي^١

كان عاصم السدراتي أحد حملة العلم عن أبي عبيدة الهمام الـتـقـظـ الذي بهمه أمر الدين ، ويدعو إلى نصر الإسلام والمسلمين ، الذي يعلم بـقـيـنـاً أن حياة الدين لا تكون إلا بالقائد المؤمن الذي يخاف الله في سره وعلايته ، الذي لا تستعبده الشهوة ولا تتولاه الإمارة بالسوء مهما كان ، كل همته إعلاء منار العدل وإقامة موازين العدالة بين الناس ، وإجراء أحكام الله في مجراها الطبيعي على الكبير والصغير والشريف والوضيع ، هان الخطب أو اشتد ، وكان رحمه الله من أقوى رجال أبي الخطاب رحمه الله ، ولما حاصر الإمام المذكور القيروان كان عاصم معه ، فمرض أثناء الحصار مرضاً شديداً ، وكان جبهة العسكر وأنجدهم ، وأشدّهم شوكة على أهل القيروان ، وكان اشتهى القشّاء فشاع عنه اشتهاؤه القشّاء ، فبلغ أهل القيروان فبعثوا إليه ببائع قشّاء ، وسموا له واحدة وأمروه أن يبيعها له ، فمضى الحبيث إلى نحو عاصم ينادى ببيع القشّاء ودخل العسكر ، وإذا بتلك الحبة هي خير ما عنده من القشّاء ، فباعها من عاصم بواسطة أصحابه ، فأكلها فنثار به السم حتى قتله ، وكان البائع قد هرب من القيروان فمات عاصم رحمه الله شهيداً ، واسنرت العدو بموت عاصم وقاموا يتنادون ساخرين أين عاصم يا بربر ؟ ! وكان ذلك نهاية أمر هذا البطل العالم الذي لا يخاف في الله لومة لائم ، فله ذلك العلم الذي عاش بالمشرق خمس سنين ، طالب عالم مهاجراً من وطنه ، ثم كان آخر عمره يموت بالسم بين يدي إمام المسلمين رحمه الله ورضي عنه .

الرابع : إسماعيل بن درار الغدامسى^{عليه}

إسماعيل بن درار الغدامسى العلامة الواعى الذى لم يزل مشغولاً بحب العلم باقتنائه واقتناص شوارده ، فإنه قضى مع الإمام أبى عبيدة رضى الله عنه خمس سنين جاداً مجداً فى طلبه ، لا يهتمه شئ من حياته إلا إدراك ما طلبه ليلاً ونهاراً ليكون القدوة فى قومه ، والإمام فى أمته . واستمر به الحال على ذلك حتى الوقت الذى همّ فيه بالرحيل إلى وطنه ، وشيخه شيخه رحمه الله ورضى عنه ، فلما حانت ساعة الوداع سأله فيها عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام ليعملها فى عيبه^{عليه} عقله المتسع كتراد الطريق ، وشيخه مغرم به لما يراه من نشاطه فى طلب العلم ، فأفتاه رحمه الله بحب وإخلاص ومودة واختصاص ، ثم قال له كالمداعب له : أتريد أن تكون قاضياً يا ابن درار؟ فأجابه بقوله : أرأيت إن ابتليت بذلك وذلك آخر شئ افترقا عليه ، وقيل آخر ما قال له بماذا تأمرنى يرحمك الله؟ ثم توجهوا إلى المغرب فلما وصلوا عرضوا الإمامة على عبد الرحمن فاعتذر متعللاً بأمانات كانت عنده للناس ، فقبلوا عذره وأرادوا تولية أبى الخطاب رحمه الله فاعتذر بأعذار لم يقبلوها منه ، وكان شيخهم أبو عبيدة رحمه الله أوصاهم بأن يبايعوه فامتثلوا وصية الشيخ وعملوا برأيه السديد ، وإنه لبصير بأحوال الرجال وخبير بمواقع الأعمال ، ومن يصلح لها فى تلك الأحوال فلن لكل وقت سياسة ولكل زمان أعمال ولكل أعمال رجال ، وما كل الرجال يحسن إدارة شئون الناس والقيام بها وهذا مما اتفقت عليه أهل العقول .

والعلامة الغدامسى من فحول الرجال الذين قل أن تسمح الأيام بأمثالهم أو يجود الدهر بأشكالهم ، وحملة العلم هم خلفاء الله فى أرضه وهم حجته

على عبادته ، فهم أشبه بالأنبياء لولأن النبوة أمر خصيص من الله عز وجل وشرف يضعه في أكمل محل ، والكمال لله وحده ، فله در الغدامسى البطل الذى أقبل على قومه بنور العلم يضيء به حوالك الجهل ، ويهدى به كل من حاد أو ضل ، وشهرته في بلاده شهرة البدر في سمائه ، وهو جبل من جبال العلم والفهم والذكاء ، ومثل سام من أمثال الإخلاص والنزاهة والصفاء والاهتمام بأمر الدين ، والاعتناء بأحوال الأمة وحجة في الدين وعمدة للمسلمين ، يدعو إلى الحق لا يبالى بسخط زعيم أو حق أمة أو تبرم أعيان ، فإن الحق وإن كان غير مرضى في أنفس أهل سوء الناس .

وابن درار البطل المغربى من أفذاذ الرجال الذين يشار إليهم بالبنان كان بطلابارزاً لا يهاب ولا يخشى إلا الله ، فإن الله عز وجل كلف أهل العلم بإقامة أعمدة الدين وقطع علائق الفساد ، أكبره أستاذه الجليل أبو عبيدة النبيل وأدنى مكانه حساً وعقلاً ، والتفت إليه بكل ما لديه ما لديه من وسع حتى أنضج عقله وقوى عزيمته وملاً ذهنه ووعيه من جواهر العلم الإسلامى الذى نعيش به حياة أمته ، ومن توفيق الله عز وجل لعبده أبى عبيدة السيد المجيد الذى ساق إليه من الرجال أفذاذاً كابن درار الذى أطال ترجمته صاحب موكب التاريخ ونحن نكتفى بذلك .

الخامس : أبو داود النفزاوى القبلى ^(١١)

كان أبو داود النفزاوى القبلى أحد الأعلام الذين تلمذوا للإمام أبى عبيدة بالبصرة ، وكان مع زملائه طيلة تلك المدة التى أقاموها مع أبى عبيدة ذلك العيلم الذى جعله الله أكبر هادٍ إلى الحق وأصدق داعٍ إليه فى ذلك العهد العصيب ، عهد ذلك الطاغية الذى ابتلى الله به الأمة ، وكان أبو داود فى الوعى والحفظ دون زملائه لذلك قال له شيخه أبو عبيدة عند خروجهم عنه ومغادرتهم ، للبصرة إلى المغرب : لا تفت بما سمعت منى ولا ما لم تسمع ، بعدما قال لعبد الرحمن افت بما سمعت وما لم تسمع ، وقال لأبى الخطاب : افت بما سمعت ، وكان ذلك منه رحمه الله لأحوال يلاحظها فى تلامذته المذكورين ، فكان يحب للضعيف منهم السلامة ويحب لقوى الذاكرة التقدم فى الإرشاد ونشر الثقافة الإسلامية ، واستعمال الموهبة التى منّ الله على من شاء أن يستعملها فيما خلقت له .

ورأى أبا داود دون أصحابه وللشيخ فى تلامذته فراسة ناجحة كفراسة الوالد فى أولاده ، وناهيك بفراسة على بن أبى طالب فى أولاده وقد صدقت فراسته ، وما زال أبو داود بعد ذلك بمنزلة جليلة كما قال الإمام السالمى رحمه الله ، كان الإمام عبد الوهاب ^(١٢) - مع جلالة قدره وعلو منزلته وكثرة علمه - إذا جلس بين

يدى أبي داود كالصبي أمام المعلم ، ويكفى ذلك مقياساً لمنزلة أبي داود ، فإن عبد الوهاب من أجلة العلماء عند المسلمين ، وهو إذا جلس بين يدى أبي داود يمثل جلوس الصبي بين يدى معلمه :

رحم الله أولئك الرجال ورضى عنهم فهم جمال تلك الأيام
وزينتها بين ليالى الدهر طيلة الأعوام :

حملة للعلم إلى اليمن

لا يخفى أن عبد الله بن يحيى الكندى^١ كان من أهل اليمن كما كان أبو الخطاب أيضاً من اليمن ، خرج كل منهما إلى البصرة لتلقى العلم من البطل الحر المخلص لله ولرسوله ، المجاهد في الله والمجاهد في دين الله ، الذى هو قطب دائرة العلماء أبو عبيدة مسلم الذى خوله الله هدىً أحيا به أرواح الحق في أقطار شتى ، وأبان به معالم الدين في نواح عديدة ، وكساه من لدنه وقاراً وأضفى عليه من ملابس الإيمان أوفاهما ، وجعل توقيره في قلوب أتباعه من نوع توقير الصحابة لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، لاسيما أن هذا كان في وقت اضطهاد الجبابة لأهل الحق ، فإن طغام بنى أمية جعلوا نصب أعينهم الضغط على أهل العلم الذين يحسون منهم النفور وعدم الرضا بأعمالهم ، وكان البادئ بذلك معاوية^٢ الذى أرغم المسلمين على بيعته بزيده^٣ ولده وهو المعروف الذى لا يحتاج أن نتحدث عنه ، وقد أرغم معاوية أخيار الصحابة على بيعته المذكور بالسيف المصلت على رؤوسهم .

ثم جاء بنو العباس على أثر بنى أمية فسلكوا الخطة التى رسمها الأمويون قبلهم ، ثم زادوا وتشددوا على الناس وأذلوا عباد الله الذين ينكرون المنكر ولا يرضون بغير الحق ، فكان أبو عبيدة ذاك السيد البطل العظيم في ملكوت الله عز وجل يلقي دروسه إلى تلامذته الخُصِيصين به الذين لا يشك في إخلاصهم ولا يرتاب في طاعتهم لله ، ولا يرتاب في استجابتهم له ، يلقيهم قواعد الدين وروحه الصحيحة وجوهره النقى وخلاصته المقصودة بالذات ، ويفتح لهم سبل الأخذ على أيدي الفساق

ويرشدهم إلى وجهة السير إلى الله ، ويضع لهم الخطط التي يراها ثلاثهم
لوقت ، ويرهن لهم على ذلك بالدلائل التي تعشقه نفوسهم الحرة ، وكان
كما قلنا إن عبد الله بن يحيى كان من تلامذته ، وعندما خرج الخمسة
المغاربة كإخوتهم الخمسة المشاركة ، وقد زودهم بوجهة خروجهم إلى
أوطانهم وبما يعملون به عند استقرارهم ببلادهم ، وحرّض عليهم الثبات
على تعاليم الصالحة ، وأفادهم أن الحق لا يقوم بغير قائد صالح ، وعليهم
أن يختاروا للدين فإنه أكبر من أمر الدنيا ، وإذا كان الاختيار لأمر الدنيا
مما يلزم فكيف بأمر الدين !

قال الإمام السالمى رحمه الله في ترجمة أبى عبيدة عند ذكر حملة
العلم : وعن أمره أيضاً نصب الإمام طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندى
في أرض اليمن ، وجمعت إمارته اليمن والحجاز .

وقد أشرنا إلى ذلك فيما سلف من كتبنا إشارة خاطفة ، ومن حيث
إن هذا الإمام كان له تاريخ مجيد وأرجاله الأوفياء الذين قاموا بدولته ،
وصارعوا البغي حتى أقام الله بهم حجته ، وأبان بهم الطريق الذي ينبغي
للمسلم أن يسلكه ، وإن كرت عليهم الدنيا بجنودها ، وأقبلت عليهم الأيام
بحشودها ، فإن الموت لا بد منه وأفضله ما كان في الله ، لا سيما إذا رسم
للمسلمين الخطة التي ينبغي المضى عليها ، فإن طالب الحق قام على بغاة اليمن
ففضى عليهم وأوضح للناس الطريق التي يلزم أن ينتهجوها في حياتهم ،
وأرسل عامله البطل الشارئ أبا حمزة المختار بن عوف السليمي^{١١١} من أهل
الباطنة من عمان من خصوص قرية مجز - بكسر الميم وفتح الجيم - بهذه زاء
معجمة - من أعمال صحار^{١١٢} ، كان ممن يملأ اليمون روعة ويدهش القلوب

هيبة ، الذى إذا تكلم خلت الجبال تتصدع أمامه ، والبحار تموج حوله ،
والسيوف تسل بين يديه ، والباطل يذوب لديه كما يذوب الجليد من حر
الشمس ، وهيبة الحق تهتز لها الرواسى .

قال صاحب معالم الجزيرة^(١) : وكل ما نعرفه حتى الآن أن ظهور
الأباضية فى حضرموت كقوة سياسية ذات شأن بدأ سنة ١٢٩ هـ
عندما أعلن عبد الله بن يحيى الكندى المعروف بطالب الحق ثورته
على آخر خليفة أموى ، كما سبق واستقل بالأمر فى حضرموت ، واحتل
اليمن والحجاز .

قال وتتلخص دعوته فى خطبته التى ألقاها فى صنعاء عقب احتلالها
أى بعد ما احتل صنعاء خطب أهلها خطبة أبان لهم فيها مقصده فقال
بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه :

: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما ، الإسلام
ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلل حلالاً
لا نبتغيه به بديلاً ولا نشترى به ثمناً قليلاً ، وحرّمنا الحرام ونبتذله وراء
ظهورنا ، ندعوكم إلى فرائض بينات ، وآيات محكمات ، وآثار نفتدى بها ،
نشهد أن الله صادق فيما وعد ، عدل فيما حكم ، وندعو إلى توحيد
الرب واليقين بالوعيد والوعد ، وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله والعداوة لأعداء الله .

هذه هى مهمة هذا البطل الكندى فمضى نسمع خطيباً يقول لنا
ندعوكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ، وإلى فرائض وآيات
(٥٠ - طلاقات)

محكمات ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأين نسمعه
وفى أى خطبة قالها خطيب غير أباضى؟! فما بال من يدعو إلى كتاب الله
وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، يقاتل ويقام له فى وجهه ، ولا تقوم
له الأمة مناصرة له على أعداء الله ، ولقد تحقق أن الأباضية فى حضرموت
واليمن هم الأكثرية ، ولهم اليد التى تعمل جاهدة لنشر دعوة الحق فى
ربوع الأرض ، وأن طالب الحق أحد رجال الأباضية وعليه المعول
فى إقامة أعمدة الدين وبناء الكيان الصحيح ، وأن اتصالهم بأباضية
البصرة غير مخفى ، وأن أباء عبدة العلامة البطل لا يزال يراعى
الحركات والسكنات فى الأمة ، وأن رجال العمل لا يصدر عن إلا
عن رأيه .

قال الدكتور عوض^(١) فى كتابه (نشأة الحركة الأباضية) : ويبدو
أن عددهم ، أى الأباضية ، غير قليل ، فالدلائل^(٢) يذكر أن أبا حمزة
المختار بن عوف ، وبلج بن عقبة قد قدما فى رجال من الأباضية انصرة
لإخوانهم فى العقيدة ، والمعنى أن الأباضية موجودون فى بلاد اليمن ،
والذين جاءوا إنما جاءوا لمنصرة لإخوانهم المذكورين ، لأن الحكومة
فى اليمن إذ ذاك أموية وهؤلاء يحاولون التملص منها أو الانقلاب بها
والحلول مكانها ، لأنها ظالمة .

قال الدكتور : أما رواية الأزدى فتعتبر أكثر وضوحاً فى إشارتها إلى
كثرة عدد أباضية البصرة الذين اشتركوا فى حركة طالب الحق ، وجاء
إليه خلق من أهل البصرة ، وقد بالغ خليفة بن خياط عندما أورد رواية ذكر^(٣)
فيها أن عامة جيش طالب الحق كان من أهل البصرة . قال وأياً كان فإن
الصحيح فى هذه الروايات أنها كلها تؤكد على أن مجموعة من أباضية البصرة
(١) (١)
(٢) (٢)
(٣) (٣)

يقودهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي، وقد هبوا المناصرة لإخوانهم في حضرموت .

فهذه الروايات توضح قوة الأباضية في البصرة وكثرتهم حتى جاءوا مؤيدين لإخوانهم في حضرموت واليمن ، ومما يدل على كثرة الأباضية في اليمن قوله - وهو يذكر طالب الحق : قرر السير إلى صنعاء أى من حضرموت أى بعد ما احتلها وكتب إلى من كان بها ، أى بصنعاء من الأباضيين يستنهض همهم ويطلب منهم الاستعداد واليقظة الزامة ، وهذا يبرهن على كونهم بصنعاء جماعة لها أهميتها وعدداً صالحاً للاعتماد عليه في المهم الذي يحاوله . قال ويخبرهم أنه قادم إليهم ، ثم استخلف عبد الله بن سعيد الحضرمي على حضرموت وسار على رأس ألفين من من أصحابه متوجهاً إلى صنعاء اه نقلاً عن البلاذري^(١).

قال ولما علم الوالي أى على صنعاء وهو القاسم بن عمر الثقفي^(٢) ، قال ولما علم الوالي الثقفي المذكور قرر ملاقاته الجيش الأباضي خارج صنعاء ، ويبدو أنه كان مستعداً ومعتداً بقوته وعسكره الكثير ، ولم يتخذ الإجراءات والخطط الكفيلة بنجاح حملته ، وكان جمع جيشاً عظيماً لما علم بأنباء سير الأباضية إليه ، وقد وصف البلاذري جيشه بأنه كان ضخماً ذا عدد كثير وعدة ظاهرة ، قيل يبلغ جيشه ثلاثين ألف مقاتل ، وعلى كل حال إن قيل إن هذا العدد مبالغ فيه ، ولكنه من المفهوم الصحيح أنه كان أعظم من جيش الأباضية ، وأكثر عدة هكذا يقول البلاذري في الأنساب ، ولكنه هزم المذكور وتفقهروا إلى صنعاء حيث لحق به طالب الحق وهزمه مرة

أخرى فهرب إلى بلاد الشام مع بعض جنده ، واستولى الأباضية على المدينة .

قال الدكتور : وتشير المصادر سنية وأباضية وشيعية إلى أن طالب الحق وأعرانه الأباضية قد عاملوا السكان معاملة حسنة ، ولم يتعرضوا لأحد بأذى ، قلت وهذا شأن الأباضية مع كل الأمم ، وفي كل حركة ومع أى خصم لم يعرف لهم ظلم أو عسف أو بغى على أى أمة كانت ، وهذا تاريخهم شاهد لهم :

قال الدكتور : وتورد بعض المصادر الخطبة التى ألقاها طالب الحق فى أهل صنعاء ، والتى تبين بوضوح بعض آراء الأباضية فى تلك الفترة المبكرة . قال وقد خير الناس فيها بثلاث خصال أيها شاءوا فليأخذوا بها .

الأولى : أن يتبنوا الأفكار الأباضية وآراءها ويجاهدوا مع أتباعها ، وفى هذه الحالة يتساوون فى الحقوق والواجبات مع إخوانهم الذين سبقوهم إلى هذا الأمر ، ويكون لهم من الأجر ما لأفضلهم ، ومن قسمة الفىء ما لبعضهم .

الثانية : من قال بقولهم ولم يجاهد معهم فعليه أن يدعو إلى هذا الرأى بقلبه ولسانه ، قال ولم تذكر الخطبة حقوقاً معينة لمثل هؤلاء الأتباع ،

الثالثة : أن يلزم من لا يقبل هذين الشرطين الحياد على الرغم من معارضته للمبادئ الأباضية ، وفى هذه الحالة لن تعرض له أحد بأذى ، قال وهذا ما عبر عنه طالب الحق بقوله : ومن كره هذا فليخرج بأمان

إلى ماله وأهله ويكف عنا يده ولسانه ، فإن ظفرنا لم يكن عرض لنا نفسه ولم يحملنا على سفك دمه . قال ولم تذكر الخطبة حقوق معينة لمثل هؤلاء الأتباع :

فانظر أيها الفطن اللبيب في هذه الخصال الثلاث التي خطبها طالب الحق وتصور معانيها ، تجد المطيع للأباضية يكون أخاً لهم شريكاً في الرأي والعقيدة وشريكاً في المال والحال ، مقبولا مأموناً محترماً شريكاً في المصالح الحيوية ، ومن كان مقتصرأ على السكون والدعة غير متصد لداع في الدين وغير قائم بدعوة المسلمين قيام المجاهدين في الدين ، ومن لم ير أن يفعل شيئاً من ذلك فهو حر في دينه وماله ، محترم في أهله وبيئته لا خوف ولا حرج إلا إذا ظهر على المسلمين أو واطأ عليهم أو دس عليهم ، فحينئذ يصير عدواً بهذا الفعل الذي ارتكبه .

قال : وقد قام طالب الحق بتوزيع ما استولى عليه من خزائن وأموال بين الناس في صنعاء وخاصة الفقراء منهم ، قلت رأى طالب الحق وأصحابه رحمهم الله أن تلك الأموال جيبت من الناس على غير الوجه المشروع ، ولا يعرف ربها لاختلاطها كثرة وقلة وحالا وحرمة ، وأن مثل هذا فرجه فقراء المسلمين حيث يصير مجهول الأرباب ، ونزه نفسه عن أن يتولى شيئاً من محصول الظلم والجبروت ، ولا زال أئمة الأباضية على وتيرة النزاهة في الحال والمآل ، وفي كل الأعمال .

والحمد لله الذي جعل النزاهة للأباضية شعاراً يعترف به عباد الله ، ويشهدون به يوم لا يغني مال ولا بنون إلا من رحم الله .

ونحن هنا لا نريد ذكر تاريخ الإمام طالب الحق عبد الله بن يحيى وحزبه ، ولا ذكر أعماله وحروبه وتاريخ دولته ، وما كان منه وما كان عليه ، فإن ذلك شيء يطول وله تاريخ حافل كفيلاً بكل ما له به تعلق ، وإنما أردنا أن نذكر وجود الأباضية في هذا الطرف ليعلم أن الطرف الباقى كان في عهده الحديد القريب من عهد النبوة أباظياً ، وأن معنى الأباضية هو الشائع فيه عهد الحق وإن طرأ عليه بعد ذلك ما طرأ ، فإن العهد الأباضى هو الذى عليه المعول . وإن من حققنا ذكر ما كان الآباء والأجداد وأهل ملتنا من شأن وإن أمر المدين من أهم الأمور .

مشاهير الأباضية في اليمن

كان الأباضية كما قلنا في اليمن وحضرموت هم الأكثرية التي هي الحجة في الدين ، ومنهم أبرهة بن الصباح الحميري^(١) كان من قادة الأباضية ، ولما هزم الأمام طالب الحق بين مكة وصنعاء ، وكان توجه لحرب الشاميين الذين تعرضوا لأثني حمزة ، فالتقى بعدوه في هذا المكان فكانت الدائرة عليه ، وقتل معه من أباضية اليمن عدد كثير . ومن الأباضية يحيى بن عبد الله بن عمرو بن السباق الحميري^(٢) من القادة أيضا الذي بايعه الأباضية لإمام دفاع ، وقتل أيضا في عدن إذ التجأ إليها وهاجمه العدو فيها ، وتغلب الجيش الأموي على اليمن وفتر بقية الأباضية إلى حضرموت وارتفعوا في داخلتها ، وقتل الأباضية في مكة مع عالم مكة أبي الحر على بن الحصين وأربعمائة من الأباضية ، واستعد الأباضية في حضرموت للقاء الجيش الأموي المنتصر عليهم .

قال الدكتور : واستعد الأباضية لهذا اللقاء المرتقب وتجمعوا من أنحاء مختلفة من حضرموت ، والتف معهم كندة ونهد وحقيل وهمدان ، واجتمعوا عند عبد الله بن سعيد الحضرمي الذي اتخذ شبام قاعدة له ، وملأ الأباضية حصونهم بالمؤن والطعام والعتاد ، ثم ساروا للقاء الجيش الأموي خارج حصن شبام حيث دارت بين الطرفين معركة طويلة النهار دون نتيجة حاسمة ، وضايق القائد الأموي المسمى عبد الملك^(٣) الأباضية واحتل حصن شبام ، واستولى على الذخيرة التي فيه :

ولكن كل ذلك لم يقض على حركة الأباضية ، بل استرسلوا لقتال عنيف ، بل استطاع الأباضية إرجاع قواهم بعد ذلك كلاء ، فحاصروا القائد المذكور

أربعة عشر يوماً استطاع مصالحتهم ، أى أباضية حضرموت ورد عليهم ما عرف من متاعهم المنتهب عليهم ، وولى على حضرموت رجلاً باختيارهم ورضى منهم بطاقة اسمية ، ثم خرج إلى مكة ليترأس موسم الحج فلحق به الأباضية فقتلوه في الطريق دون مكة وقتلوا صحبه انتقاماً بمن قتل منهم .

والمستفاد من هذا أن الأباضية في اليمن لها حركة هامة جداً ما زالت مع الغزاة في صراع ، وما زالت حضرموت وتوابعها وصنعاء وتوابعها أباضية زعامة وشعباً ، ولم تؤثر الغزوات والحروب الجائرة على أباضيتهم إلى منتصف القرن الرابع الهجرى ، ولما أراد الله أن يرفع يده عن هذه الأصقاع سلط عليها الجبابرة والجورة الظالمين ، فقصوا على الأباضية بأعمال لا يرضاها الله ولا رسوله ، وما كانت للأباضية زعامة جائرة في أى وقت من الأوقات ، بل كانوا إذا أمكنتهم الفرصة عمدوا إلى أفضل رجالهم وأكمل علمائهم وأخيارهم فبايعوه على طاعة الله وطاعة رسوله ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأقاموا به منار الحق وأعانوا الضعيف وأضعفوا القوى ، واحتقروا ما عظمت الجبابرة وعظموا ما حقرتة ، وأعادوا الشريعة السمحاء في مجراها الطبيعي وبنوا المساجد وأقاموا الجماعات والجمعات ، وأصلحوا الأمة وذلك دأبهم في كل أوقاتهم وكل أزمنتهم وفي كل مكان ينزلونه .

وهذا الدكتور عوض يقول : وفي أواخر العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة استغل مشايخ الأباضية المشاكل التى واجهتها الدولة الأموية ،

وأوعزوا إلى أتباعهم لإعلان الإمامة في بعض المناطق ، واستطاع الأباضية تأسيس إمامة أباضية في كل من حضرموت واليمن وعمان اه .

ولكن أعداء الحق يسوءهم قيامه وأكثرهم للحق كارهون ، وما زالت بلاد اليمن وحضرموت يشملها اسم الإمامة طيلة العهود الخالية تبعاً لعمل الصحابة رضوان الله عليهم ، فإنه لما مات النبي عليه الصلاة والسلام لم يقولوا انتهت النبوة وانتهى الأمر ، بسل أقاموا أبا بكر رضى الله عنه إماماً لهم عاملاً بما جاءت به النبوة تابعاً لأوامرها قائماً بما قامت به الأمة ، محافظاً لسيرتها ، وبذلك لم يفقد من النبي عليه الصلاة والسلام إلا شخصه الكريم ونزول الوحي بعسده ، ثم لما دنت وفاته رحمه الله أقاموا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصار مسيرة صاحبه وأعطى القوس باربها ، وأجرى الأمور في مجاريها .

ولما حضر أجله بايع المسلمون عثمان بن عفان على ما بويح عليه من قبله ، وهنا بدأ انتفاض صرح الإمامة حين وقع الخلخل في حائطها ، وتصعد ذلك البناء وانهار ، ثم بايعوا على بن أبى طالب وقام حد طاقته حتى عصفت به رياح زعازع زعزعت الإمامة وقلبته رأساً على عقب ، وتأخر ذلك المسير الراشد ولكل شئء نهاية :

وبايع فريق من المسلمين الحسن بن على فألقاها في بلعوم معاوية يلعب بها كيف شاء ، ثم بايع المسلمون أعنى الأباضية فقط إماماً لهم ثم استمروا في عهودهم على ذلك منذ ذلك العهد ، وإنه لم يعرف في أمة من أُمم الإسلام بعس ذلك إلا الملك العضوض والسلطان المتغلب على الأمة ، الأباضية فإنهم بايعوا أئمة بعمان وبحضرموت واليمن والمغرب ، ولم

يعرف هذا الحال في غيرهم من أمم الإسلام ، بل الموجود فيهم الرضوخ لطاعة الظالم جارأى عدل ، وأصبح عمل الصحابة ملقى في الحضيض وأمر محمد عليه الصلاة والسلام يتلاعب به السفهاء والأوغاد ، وأى سفه أكبر من إباحة حرم رسول الله بمرأى منه ومسمع ، ثلاثة أيام تهتك فيها الحرم وتداس فيها كرامة النفوس الكريمة ، وتطأ أقدام الفساق على هامات أهل الحق ، ويقاتل الحق حتى يقتل والحق معه ، ويؤيد الظالم وهو على ظلمه .

وهكذا وما زالت إمامة حضرموت تابعة لإمامة عمان وما زالت أباضية عمان تؤيدها على أعدائها إلى آخر عهد من حياتها ، وقد كتب الله على الدنيا الزوال وعلى أيامها التداول ، ومن المحال دوام الحال والأباضية أصبحت في نواحي اليمن بعد ذلك العهد الزاهر لاتعرف ، وانمحت رسومها وبادت رجالها وتقلص ظلها ، بسل من أغلب بلاد الله بعد ما كان للأباضية عدة أئمة في حضرموت وفي اليمن فإنهم جملة آخرهم الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن قيس^(١) رحمه الله ، وهو صاحب الديون الموسوم بالسيف النقاد ، وهو عنوان حماسة ذلك الإمام الهمام البطل المقدام ، فرحم الله أولئك الأئمة ورضى عنهم ، فإنهم بذلوا أرواحهم قرايين لله عز وجل ومضوا تحت ظلال السيوف في طلب مرضاة الله جل شأنه .

لقد مئى الإسلام بمصائب هامة وهى الخضوع للظالم على ظلمه ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وبدل حكم الله عز وجل الذى شرعه لعباده بالقوانين الوضعية والسلطان

الحقيقى هو الواحد القهار ، وبذلك رفع الله عونه ونصره عن المسلمين
بعد ما كان ناصرهم وهم قلة ، وكان ناصرهم وهم على خلو ذات اليد ،
ولما رفع الله عنهم يده انهارت صروحهم وتفرق جمعهم وتمزق شملهم
ونزلوا إلى الحضيض ، وكانوا سادة العالم وكانت الدنيا من أجلهم مملوءة
سروراً وتمرح بهم مرحا وهم على شظف من العيش ، والله فى خلقه أسرار ،
ولاشك أن إعانة الظالم على المحق فساد عظيم ، والله لا يرضى من عباده
الفساد فى ملكه .

الإمام عبد الله بن أباض التميمي^(١٦)

لا يخفى أن الإمام عبد الله بن أباض بن تيم اللات بن ثعلبة من بنى مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس آل مقاعس التميمي ، كان من أهل العراق جاء إلى الإمام جابر بن زيد لأخذ العلم عنه ، وكان يناظره في أموره وفي مهماته الدينية وفيما يأتي منها وما ينذر ، وكان من أتباع أبي الشعثاء ، وهو تابعي أيضاً فإنه أدرك كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا يخفى أن عبد الله بن أباض الذي انتسب إليه هذا الجيل من أئمة الإسلام ، وشاع بينهم شيوعاً سريعاً باسم الأباضية نسبة له إلى أباض^(١٧) والد عبد الله ، وكان أباض المذكور أفتق من عبد الله وأعلم منه ، إلا أن عبد الله كان أنقل على زعماء الباطل من الصخرة ، وكان لا يبالي برد الباطل على صاحبه ولا يحابي في الدين ولا يأتي أبواب الأمراء الذين تسلطوا على الأمة بالجبروت ، وكان له من عشيرته خصى منبع وركن رفيع لم يحسر أحداً على الخط من قدره ، فإنه كان مقنناً لا يراعى ومنهما ما لا يرتاع يقوم في وجه البغي غير خائف ولا وجل : (ولولا رهطك لرجمناك)^(١٨) الآية ،

والأحنف بن قيس^(١٩) مع رهطه كان يدارى معاوية ويتقيه نظراً إلى ديناه التي يطمع الأمراء فيها ، بخلاف عبد الله بن أباض مع عبد الملك وأعوانه ، مع أن سطوة عبد الملك على الناس أجزاً من معاوية ، إذ كان معاوية جديد عهد بسيرة الخلفاء الأربعة ، أما عبد الملك فقد تجددت به أهمة الملك وسطوة السلطان ومع ذلك يراعى عبد الله

ابن أباض وهو لا يداريه ولا يجاريه ، بل يرد عليه أعماله ويتباعد منه ، فلذلك شاع له صيت انضوى تحت جناحيه هذا الحليل فأطلق الاسم عليه فصار علماً على هذه الأمة المسماة الآن بالأباضية ، بخلاف بقية المذاهب فإنها انتسبت إلى علماء أخذت بأقوالهم وترك ما سواها ، وبذلك عرفت ، وابن أباض من أبطال العلم الذين شهد لهم التاريخ بما لم يشهد به لغيرهم^(١) .

مركز المذهب الأباضي

لا يخفى أن مركز المذهب الأباضي كان بالبصرة حيث نبت بها وانتشأ فيها ، وتفرع منها وامتد إلى أرجاء العالم الإسلامي ، فاتصل بعمان القريبة من البصرة بغاية السرعة ، وهوت إليه من عمان أنجم نيرة وأعلام خيرة وأبطال تحب الإيمان ، وتهافت إليه أهل الخير من كل جهة ، وقامت له دعاة تدعو المسلمين إلى اتباعه والعمل بمقتضاه ، تريد بذلك وجه الله عز وجل لا تخاف لومة لائم حتى رسخ في نفوس المؤمنين ، وقرّ على دعائم الحق المبين كما امتدت له أركان إلى المغرب السامي بواسطة حملته الخمسة زملاء العمانيين الخمسة ، فقامت له بالمغرب دول لها أهميتها ولها عظمتها برجال أبطال وأئمة أقبال ، عرفوا الحق فاتبعوه وعلّموا الواجب فامتثلوه ، ورأوا جور الظلمة وعتاة الأمة فقاوموهم ، فكانوا في جبهة الدهر غرة مشرقة ، وفي سماء الإيمان الأنجم الساطعة ، صارعوا الباطل كلما ظهر ، وناصروا الحق من أين أتى ، لا يرجون على ذلك ثواباً إلا من الله ، باعوا نفوسهم بأعلى الأثمان عند الله فوقهم الله ومضوا إليه تحت ظلال السيوف ، وعلى حصى الأرض تسيل دماؤهم وهى بعين الله والحرور العين تصفق لها فرحاً بها ، إذ كان أهلها رجال الله ، وكذلك امتد المذهب إلى اليمن ونواحيها بحملة العلم من القدوة الصالح أبي عبيدة الرضى ، وإلى خراسان فكان لرجالها الشأن بين تلك الأصقاع ، وإلى مصر كنانة الله في أرضه ، وإلى الجزيرة العربية

والحرمين الشريفين برجال الأباضية الذين هم رحمة الله في أرضه ،
وحجته على عباده :

ولا ضير فهم الأئمة المؤمنون وهم الهداة المخلصون الذين تحيا
بهم الأرض وينبت بهم الزرع ويحفل بهم الضرع وتسعد لهم الحياة
وتعتمر بهم البلاد ، وتبهج بهم العباد وتسكن إليهم النفوس . ولما رأت
الدول التي تميل إلى الملك العضوض والسلطة القاهرة التي لا تزال
أهميتها في الاستيلاء على الناس بالقهر والغلبة ، عادت هذا المذهب
وتألبت عليه وحاربتة في كل أنحاء العالم الإسلامي ، لأنه يخالف مبادئها
ويصر على أن يكون عمرياً خالصاً وهي ترى أن تكون أموية أو
هاشمية أو قيسرية أو كسروية ، فكان ذلك هو الفارق بينها وبينه
ولا شك أن النفوس غالباً تحب الترفه والرياش الحسن .

والمذهب الأباضي يحب أن يكون على نهج الخليفتين لا قرابة عنده
إلا بالحق ولا بعد لديه إلا بالباطل كما كان الصحابة رضوان الله عليهم ،
يحب أحدهم قتل أبيه على الإسلام ويفرض لأحدهم في بيت مال
المسلمين الشيء الضئيل مما تقوم به الحياة وما عده ، فلبيت المال
لقوة الدولة وليس للأمر أكثر مما للمأمور ، فإن ذلك على الأقل
يثير الحرج في نفوس الأمة ، وإذا تخرجت الأمة وتأثرت وبقي ذلك
في نفوسها أورثها داءً عقياً قد لا يكون له علاج ، أما المساواة فهي
ثورث الأمن والاطمئنان لأنه لإنصاف ومع الإنصاف تسكن النفوس
وترتاح وتطول قناتها .

والمذاهب المعادية للمذهب الإباضى تناصرها الدول التى تتمتع بمذهبها ، وتلك الدول هى التى ترفع من خسيصة مذهبها على الرغم من أن تكون ضداً له فى حال من الحال ، والحكومات التى تؤيد مذهبها ترغم الناس على اتباعه حقاً كان أو باطلاً ، فيقوم بذلك وتخضع له الناس حتى يألفه السواد الأعظم ، وبذلك يقضى على المذهب الإباضى المهان المستضعف ، ومن تأييدها المذهب نشر مؤلفاتها وإرغام الناس على العمل بما فيها ، فكم جلد العلماء ونكل بهم وقتلوا على عد القبول لما جاء فيها .

فهذا أحمد بن حنبل^(١) جلد مرات على مسألة خالق القرآن ، وهذا أبو الشعثاء وأبو عبيدة كم عاشا فى المغارات على غير جرم أو ذنب إلا كونهما مخالفين لغيرهما ، وكذلك بقية العلماء الذين عرفوا فى التاريخ الإسلامى لم ينج منهم من الهوان والعذاب إلا من شاء الله ، وإرغام أهل الحق وتأييد أهل الباطل من أكبر الدواهي فى اعتبار أهل العقول ، ولم يكن للمذهب الإباضى مناصر إلا الحق الذى يشع من خلال ثنياه حين يرفع عقيرته إلى الله فيقيم له الله قواماً من رجال الدين من يؤيده وينصره ويجدد معالمه ، فلا ناصر له إلا الله ولا مؤيد له سواه ، فذلك تقلص ظله من العالم الإسلامى إلا ما شاء الله ، وارتفع من الأراضى التى كان انتشر فيها ، والله أمرٌ هو بالغه ، وحكم هو نافذه ، وقد تمت به حجة الله على عبادة ، فإن الله أوحى بدينه إلى عباده ليناصروه ويؤيدوه ويفدوه بالأرواح ، ويقوموا بواجباته رغم أعدائه ، فإذا ضيعوه فقد وقعوا فى سخط الله عز وجل (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)^(٢) ولما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، ولم يتركها (٦٢ - طلفات)

كسروية وقيصرية إنما ذلك من رحمته تعالى على عباده (وإذا أراد الله
بقوم سوءاً فلا مرد له من الله)^(١)

وبقاء هذا المذهب على النهج الصحيح رحمة من الله لعباده ، فإنه
مذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث الافتراق يؤيد
فإنه ما جاء مذهباً مستحدثاً وإنما جاء مذهباً متأصلاً على القواعد
الصحيحة ، مدعماً بالأصول الواضحة الرجيحة إذا تتبعه ، ونظر إليه
بعين الإنصاف لم يجد فيه ما يخالف الهدى النبوى ، وسوف نتقل لك
ما يقوله أهل الحق فيه وما لدى أهل المذاهب الأخرى فيه أيضاً .

ما يقوله علماء الإسلام في المذهب الأباضي

اعلم أن ما يقوله علماء الإسلام في المذهب الأباضي من الحق ومن القرب منه ، ومن أصح ما قيل : إن الأباضية من أصدق فرق الإسلام يوجب عليهم اعتناقه واتباعه إن لم يغلب عليهم الهوى ، أو يكون الحرمان مانعاً لهم أو التوفيق نائباً عنهم ، وما قيل قديماً ربما قيل فيه من تغيير أو تبديل ، أولاً يعرف حال القائل وما كان من أهل العصر فيكون كالحديث الحالي .

هذا العلامة الخليل عز الدين التنوخى^(١) عضو المجمع العلمي يقول قولاً صريحاً صحيحاً لا يبالي بأهل مذهب للمسلمين أياً كان ، بل يقول المذهب الأباضي هو الحق ، وإذا كان هو الحق فالحق يجب قبوله ويجب اتباعه وطاعته ، قال ذلك إجمالاً وتفصيلاً على رءوس الملاء ، وقد حقق المقال عن الأباضية في عدة مواقف ، واعترف بصحة مسندهم وأنه الصحيح ، وإذا كان مسندهم صحيحاً كان عملهم صحيحاً ، لأنهم بنوه على صحيح ، وما أنبنى على صحيح فهو صحيح من غير شك ، ومعنى صحيح أى حق والحق هو الذى يجب قبوله واتباعه ، ومن لم يقبل الحق فهو كافر ، فإن الله أمر بالحق ودعا إليه .

قال العلامة حسن السندوني^(٢) محقق البيان والتبيين للجاحظ : المذهب الأباضي وأهل هذا المذهب من أفاضل أهل القملة ومن ينفرون من البدع التى ليست من الدين فى شيء ، قلت هذا نص صريح فى تصحيح مذهب الأباضية . قال ومن هنا يهتم بعض المسلمين بالتشدد وبعدم

مسائرهم للتقدم ، بل يرمونهم بما هم برآء منه . قلت إن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، إنما يرمونهم حسداً من عند أنفسهم كأنما يشير إليهم قول القائل :

حسدوا الفتى إذ ألام ينالوا سعيه فالتقوم أعداء لهم وخصوم
قال : وقد كنت خدعت بقولهم أى قول خصوم الأباضية فيهم
فرددت مجمل ما يتهمونهم به ، ثم تبين لى اليقين فيهم فعلمت أنهم من
خيار المسلمين ، ومن يرجعون فى كل أمورهم من عبادة ومعاملة إلى
الكتاب والسنة ، والمعنى أنهم لا يعملون بما يخالف الكتاب والسنة ،
وهذا تصحيح لمذهبهم وإثبات للحق فيه اهـ ببعض تصرف .

أما السيد مصطفى بن إسماعيل المصرى ^(١) الذى وفقه الله لاعتناق
المذهب عملاً بالحقائق التى تلقاها بباعث سماوى ، فصار ينافح عن المذهب
ويكافح عنه ، وأنشأ مجلة ضمنها النصائح للملوك والأمراء باتباع
المذهب الأباضى ، واعتزل قومه وتباعد منهم ورد عليهم كل ما يرمون به
المذهب الأباضى من سوء ، وحاولوا رده عنه ، فقال : هيهات الرجوع
عن الحق فالتحق به كثير من أقاربه وأخصائه ، وقامت له كتلة
ضربت معسكرها خارج مصر .

ومن حيث إن رجالاً من فرنسا جاؤوا الأباضيين أيام احتلالهم
للمغرب وبحثوا الأديان بحثاً دقيقاً ودرسوها درساً معنوياً قرروا أن
نقاوة الدين الإسلامى لا تنحصر إلا فى مذهب أتباع ابن أباض ، وأنت

خبير أن حديث الافتراق الذى رواه أنمة الحديث ينص نصاً صريحاً أن الناجية من الفرق واحدة فقط ، ونحن لا نحتج على غيرنا بمقال علمائنا ، إذ ربما يقول قائل إنهم متعصبون لمذهبهم ، ولكننا نحتج بما يقوله علماء المذاهب الأخرى . قال الزبير بن على الأصغر^(١) من أهل عظيم أباد من أرض الهند : الأصل والأسلم ما عليه الأباضية . وقال عبد الرزاق البغدادي^(٢) من أهل العلم فى أول هذا القرن : إن الأباضية أقرب الفرق إلى الحق . وهكذا غالب أقوال المطلعين على أصول المذهب وفروعه والعارفين بمقاصد علمائه لا تزال عباراتهم كما أشرنا إليها سابقاً ، منهم من ينسب الأباضية إلى أهل الحق ، ومنهم من يضيفهم إلى القرب منه ، وهكذا ذلك لأنهم لم يجدوا بداً من قول الحق فيسترون بمثل هذه العبارات .

وقال صاحب كتاب المذاهب الإسلامية المصرى^(٣) : الأباضية أتباع عبد الله بن أباض ، وهم أكثر الخوارج اعتدالا ، وجعل الأباضية من الخوارج كالشيء المتقرر لقصورهم فى تحقيق الحقائق التاريخية والعقائدية ، ولا يضر الأباضية ذلك فإن الجهل فضحية المتحدث به ، وقوله أكثرهم اعتدالا شهادة منه لهم رغم ما يقول القلم الطاغى الذى لا يقف عند الحقائق بأصل ، قال : وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً ، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو . وهذه الجملة تنير الطريق لمن ألقى السمع وهو شهيد . فالأباضية أكثر اعتدالا وأقرب إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً وأبعدهم عن الشطط والغلو ، إلى أن قال :

وقد اقتبست القوانين المصرية في المواريث بعض آرائهم ، ثم قال عنهم :
وجملة آراء الأباضية تنص أن مخالفهم من المسلمين ليسوا بمشركين . قلت
نعم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال ولا مؤمنين أى
الأباضية يقولون لمخالفهم مسلمين لا مشركين . قلت لقد خرجوا من الشرك
بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، وخرجوا عن المؤمنين بفعل المعاصي ، فإن
الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »^{١١١}
الحديث ، وذلك فرع على قوله عز وعلا : (وقالت الأعراب آمنا قل ^{١١٢} لهم
يا محمد) لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ^{١١٣})
ومعنى قولوا إنا مسلمون بقولكم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أما الإيمان
فلا لأنكم تفعلون ما لا يرضاه ، فأنتم باعترافكم بوحداية الله حين قلتم لا إله
إلا الله محمد رسول الله ، فهذا أسلمتم فحرمت دماؤكم وأموالكم إلا بحقها
وحسابكم على الله ، إما عفواً وإما عقاب .

وهذا المبدأ هو الذى حير الكثير من أهل المذاهب وتركهم لا يهتدون
طريقهم ، لأن الكفر معهم الشرك وجهلوا كفر النعمة أصله وفرعه ، فأصبحوا
في هوة لانجاة لهم منها ، ولم يفهموا أن الله خلق لهم عقولا وخاطبهم بتكاليفه
بها وأنها نعمة عظيمة كفروها حين تعدوا حدود الله بارتكاب ما حرم عليهم ،
وكان من واجب من أنعم الله عليه بنعمة العقل وجعله الفارق بينه وبين
غيره من الحيوان أن يكون واعياً وأمر الله واقفاً عند حدوده لا يتعداها
قيد شعرة :

قال الشيخ المصرى حاكياً عن الأباضية : إنهم يسمون مرتكب الكبيرة
كافر نعمة لا كافراً في الاعتقاد ، وقد بينا لك تحقيق المقام . قال الشيخ وذلك
لأنهم لم يكفروا بالله ، قلت : لو كفروا بالله أو برسله أو بكتبه أو بشئ ممن

ذلك لكانوا مشركين ، والمشرک حلال الدم والمال لايز اوج ولايناكح ولايمنح حقوق المسلمين العامة كالصلاة عليه إذا مات ودفعه في مقابر المسلمين ، وكالولاية له ونحو ذلك من الحقوق مما هو بعيد منه في حكم المسلمين بُعد الثريا من الثرى .

قال الشيخ صاحب المذاهب الإسلامية حاكياً عن الأباضية : يقولون إن مخالفتهم لم يكفروا بالله لكنهم قصّروا في جنب الله ، ويقولون دماء مخالفتهم حرام ودارهم دار توحيد وإسلام ، ثم قال ولكنهم لا يعلنون ذلك فهم يسرون في أنفسهم أن دار مخالفتهم ودماءهم حرام . قلت لأصل لهذا الزعم فإن الأباضية ما يروونه حراماً لا يخفونه ولا يكتُمونه ، بل يصرحون به صراحاً لا هوادة فيه ، وقوله إلا معسكر السلطان وكلهم يتداولون هذا التعبير . كانت فعلهم يروونه أقيم بيت مال المسلمين كالخصون والقلاع ونحوها ، فلئما تبنيتها الملوك والساطين ببيت مال المسلمين ، وإذا كان الأمر كذلك فلا جرم على الآخذ من بيت مال المسلمين ، هذا على فرض صحة ما يقولون .

وقوله عنهم أى الأباضية لا يحلون من غنائم المسلمين الذين يحاربون إلا الخيل ، وكل ما فيه من قوة في الحروب هذا خطأ فاحش لا يليق بمن يتسم بالعلم أن يقول إن الأباضية يحلون ذلك : نعم إن كان السلاح أو الخيل من بيت المال سبيلاً ما سبيل بيت المال ، وأما خيل أهل القبلة وسلاحهم فلا يحل من ذلك شيء أبداً لا قليلاً ولا كثيراً ، وإما يجوز الاستعانة بذلك على حربهم إذا كانت في المسلمين حاجة إلى ذلك ، وجاز إتلاف خيلهم بالقتل وسلاحهم بالكسر والحرق ، وبأى نوع من أنواع الإتلاف ، لأن ذلك من نوع كسر قوتهم كقطع نخل بنى النضير وقطع شجرهم وتدمير منازلهم ، قال ويردون الذهب والفضة ، قلت ذلك دليل على نراهم فإن الذهب والفضة هما المطموع

فيهما طبعاً ، قال وتجوز أى عند الأباضية شهادة المخالفين ومناكحتهم والتوارث معهم ، قال ومن هذا كله يتبين اعتدالهم وإنصافهم لمخالفهم اهـ . قلت وبهذا وأمثاله يقول علماء الإسلام الذين يقاربون الحق ويظهرون وميضاً من ضيائه ، وفي الغالب أعداء الحق وهم الأكثرون لا يرون إلا كتمان حقائقه ومحورسومه ، وللناس أهواء تتحكم عليهم ، ألا ترى ابن الصغير المؤرخ المغربي يذكر بعضاً من الحق عن أئمة الأباضية ، ويشهد لهم بأنهم على الحق في أعمالهم ويعترف لهم بالعدل والإنصاف ، ومع ذلك يعان عداوتهم كما أعلن أناس عداوة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهم يعلمون أنه نبي الله عليه الصلاة والسلام .

ويكفي في مثل هذه المقامات أن نشير إلى الأحوال ولو من بعيد ، ونحدث عن المذهب وأصوله وفروعه ، وعن رجاله وعقائده ، فإذا وقف على ذلك عاقل يلتمس الحيرة لنفسه فهو أملك لأمره ، والله كلف عباده اتباع الحق ، لانقول في أى مذهب من مذاهب المسلمين شيئاً يجرح حاشية أو يؤثر على نفس مآ ، ونكل أمور الحق إلى ربهم ، فإن الله عز وعلا يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام : (قل لست عليكم بوكيل) ويقول له : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) (١) وفي الحديث : « إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع قدرته » وهو الخفى بعباده والروءف بهم .

القسم الثاني من الكتاب في الاعتقاد

لا يخفى أن التوحيد ومعرفة الله ومعرفة صفاته الواجبة له والجائزة عليه والمستحيلة في حق من الدين ، ومن لم يعرف ربه فقد وقع في هوة شائكة والعياذ بالله ، وقد حرر علماء الإسلام حقائق التوحيد وجعلوها علماً مستقلاً أطلقوا عليه علم الكلام ، وأطلقوا على أهله المتكلمين وها نحن نقتطف في هذا الكتاب الصغير الحجم أزهاراً من التوحيد نضعها في عقده حلقات ، راجين من الله بها توفيقه وعونه ، وأن يجعل ذلك كله ذخيرة لنا عنده تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الحلقة الأولى

في معرفة الله عز وجل

اعلم أن معرفة الله تبارك وتعالى واجبة بالعقل قبل ورود الشرع ، فلما ورد الشرع زادها إيضاحاً وأعلن إيجابها ، وقد أعلنت الكائنات كلها عن معرفة الله تعالى ونادت بلسان الحال عنها ، وقد أشرنا إليها في (سلم الاستقامة)^(١) المطبوع في دبی طبعاً غير مستوفى الشروط ، والآن نقول هنا إن الإنسان إذا بلغ حد التكليف وجب أن يعلم أن له خالقاً خلقه ورازقاً رزقه ، ومصوراً صورته ومقدراً قدره ، ذلك لأنه يعلم أنه لم يخلق نفسه ولم يصبغها بصبغة قدرته وعليه ، فلا بد لها من خالق خلقها له الحول والقوة على الخلق ، وأن ذلك الخالق مبين للمخلوقات كلها وغير مماثل لشيء منها في حال من الحال ، وأنه الكامل عن كل نقص ، فإنه إن لم يكن كذلك لم يصاح أن يكون رباً أبداً ، لأنه إذا كان عاجزاً عن شيء ما لم يصح أن يكون إلهاً قطعاً ، ونفس الإنسان مدرسة تشتمل على معرفة الله عز وعلا ، ولهذا قال رسول الله عليه الصلاة والسلام إن صح عنه : « من عرف نفسه عرف ربه » . فإذا أمعن العاقل النظر إلى نفسه تلقى عنها دروساً تخبره عن معرفة ربه كما ينبغي وفوق ما ينبغي إن كان ذا عقل وقد أشار الله عز وعلا إلى ذلك بقوله : (سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم . . .)^(٢) .

فآيات التي في الإنسان وفي غيره من الحيوان ، وفي الآفاق بكل مكان أعظم الدلائل على الخالق الديان ، فإن السمع والبصر واللسان والذوق والشم واللمس والحركات والسكنات دلائل يهتدى العقل بها إلى معرفة الله عز وجل ، وفي الألوان والسحنات وفي الدم واللحم والعظام والجلد والشعر والأظافر والأسنان ، وغير ذلك مما خفي من الوعي والإدراك ، وكون

الإنسان ذكراً أو أنثى ، وذو النسل والعقم وذو البخل والكرم ، وذو العفة والشره ونحوها من الأحوال ، فإنها كلها دلائل على معرفة الله عز وعلا ، وعلى وحدانيته أيضاً ، فإنه إذا كان لا يستطيع أحد إيجاد شيء من ذلك وصح العجز عنه ثبتت القدرة الكاملة لله تبارك وتعالى ، وإلى هذا أشار الإمام السالمى رحمه الله حيث قال : « معرفة البارئ من العقول »^(١)

ولو فتحنا باب الاستدلال على مصراعيه فى هذا المقام لَنَبْنِا المسير إلى أبعد مقام وأدهى مرام ، هذا من ناحية العقل ، أما من ناحية النقل فقد جاءت الدلائل السمعية والنصوص الشرعية تخبر عن الله وعن صفاته نصاً صريحاً : (فاعلم أنه لا إله إلا الله)^(٢) ، (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط)^(٣) (الله لا إله إلا هو الحى القيوم)^(٤) ، فى أمثالها وهى كثيرة ، بل جاء القرآن يقرر الوحدانية قبل كل شيء ، ويثبت الألوهية بحسب أصولها ، وأن الكمال المطلق له تعالى لا يشاركه فيه غيره قطعاً ، وله الحلال المحقق عقلاً ونقلًا لا يدانيه فيه شيء من مخلوقاته مهما كانت صفتها ، واختص جل شأنه بالجمال فى مصنوعاته فهو الجميل يمنح الجمال ، وهو المتصف بالصفات التى تختص بالربوبية وحده تعالى .

الحلقة الثانية

بيان الصفات الواجبة له تعالى

لا يخفى أن لله صفات واجبة لا يمكن القول بوجوده دونها وهي وجوده تعالى وجوداً لا يحسد بزمن ، بل له الوجود المطلق ، وله تعالى البقاء المطلق ، فلا نهاية لبقائه عز وجل ، ولا بد من هذا وإلا لم يكن جل شأنه إلهاً وهو العليم بذاته والبصير بذاته والتقدير بذاته والسميع كذلك ، والقوى أيضاً والحكيم في صنعه ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يلم به ما يؤثر عليه ، فهو فوق كل شيء وعلى كل شيء ومع كل شيء لا يخلو منه مكان ولا تحيط به الأكوان ولا تفنيه الأزمان ، يعلم ما يكون كما يعلم ما كان علماً لم يتقدمه شيء كالحلhel والغفلة والنسيان .

فهذه الصفات الواجبة له قطعاً يرى ويسمع لا بآلة سمع أو بصر جل جلاله وعظم سلطانه له ملك السموات والأرض .

الصفات الجائزة عليه تعالى

لا يخفى أن صفاته تعالى الجائزة عليه هي الدالة على فعله كالإحياء والإماتة ، وكالإيجاد والإعدام ، وكالقبض والبسط ونحوها . فإن الله عز وعلا اتصف بها في الأزل ، فهو المحيي وهو المميت والمعين والمنتقم ، والقاهر أو هما صفتا ذات ، وعلى كل حال إن انصافه بمقتضاهما يوجب ثبوتهما له في الأزل ، لأنه تعالى لا تبدو له البدوات ولا تحدث له الإرادات ، أوجد الشئون كلها فهي كما يقولون شئون يبدئها لا شئون يبتدئها ، فله كل شيء وُجد أو يوجد ، فإن القضاء والقدر حكمان أزليان أثبتهما تعالى سبحانه من فاعل ما يشاء وقاض بما يشاء ، تنزه عن الفحشاء وحكم أن لا يقع في ملكه إلا ما يشاء لا يظلم الناس مثقال ذرة حاشاه ، ولا يهمل شيئاً أمره تعالى اقتضاه واحد في ذاته وواحد في صفاته ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾^(١) ليس كمثل شيء وهو السميع البصير^(٢) يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور^(٣) له الكبرياء في السموات وفي الأرض^(٤)

الصفات المستحيلة في حقه عز وجل

لا يخفى أن الصفات المستحيلة عليه دخلت ضمناً في الصفات الواجبة له ، فكل صفة وجبت له امتنع عليه ضدها ، وهذا ضابط جامع ، فإنه لو لم يكن كذلك لم يكن إلهاً ، أى لم يصح أن يكون إلهاً قطعاً ، فإن العلم والقدرة ونحوها وجبت له فامتنع عليه ضدها ، فإن ضد العلم الجهل ومن كان جاهلاً أو جاز عليه الجهل لم يجز أن يكون إلهاً قطعاً .

وهكذا السمع والبصر والقدرة والإحاطة ، وما يكون دالاً على نقص أو نحوه ، فإنه ممتنع على الله إجماعاً إلا عند غير المسلمين من سائر الأديان الأخرى ، ومن الجائز عليه سبحانه وتعالى إرسال الرسل وإنزال للكتب والبعث والحساب والعقاب ونحو ذلك مما لا يدل على عجز أو نقص ، ومن حيث إنا لانرى الإطاعة لأن الوقت يقتضى الاختصار ، وإن رغبة الناس في هذه الآونة في المختصرات ولكل قوم رغبة نمر على المباحث مرور البدر في المنازل لا مرور الشمس في البروج والله المعين .

الألفاظ المشتبهة التي يدل ظاهرها على التجسيم

لا يخفى على أهل العلم أن الله عز وجل خاطبهم بلسانهم وحاورهم بما يجري بمعقولهم ، فهم يفهمون الخطاب من نفس القرائن قبل التحقق لفحوى الخطاب ، ولما تقرر في الشريعة أن الله عز وعلا مبين لمخلوقاته في الذات والصفات والأفعال ، لم يعد لهم وهم أو جهل في شيء من وحى الله عز شأنه ، فإن صفات المخلوق تخالف صفات الخالق تبارك وتعالى ، فلا يرتبك الفهم العربي مهما كان في معرفة اللسان ، فلذا لما كان الأخذ في اللغة باليد ومراقبة الأشياء المبصرة بالعين ، وهكذا لعبر الله تبارك وتعالى عن معانيها بمثل ما عبر به عن نفس ما في الإنسان ، فقال : (ولتصنع على عيني)^(١) ، فالعين في حق الله عز وعلا معروفة بأنها حفظه واليد مفهومة في حقه قدرته لما قدمنا من استقرار الفهم باستحالة صفة الإنسان أن تكون صفة للرحمن .

وهكذا بقية الصفات كالقبضة والاستواء والمجيء والجد والمكر والعجب ، فإن هذه عبارات يتخاطب بها البشر فيما بينهم فخاطبهم الله عز وجل فيما بينهم وإياه لاستقرار معانيها عندهم في حق الله ، فلا يذهبون بها إلى غيرها ، وقد علموا أن الله جلت قدرته مبين لهم في الأحوال كلها كما وضع لهم ذلك في قوله : (ليس كمثل شيء)^(٢) .

فاستقر في الأذهان انتفاء ما يؤهم النقصان في حق الملك الديان تارك وتعالى مع علمهم أيضا بوجود المجازات والاستعارات في لغتهم

الفصحى ، وهى أكثر من أن تحصى ، بل القرآن مشحون منها بحيث يسام لها العربى راغما أو يخضع لمعانها طائعا ولا يستنكر شيئا من مبانيها ووجودها فى السنة ، كوجودها فى القرآن ، والأصل واحد ولا خلاف لديهم فيها أبداً ، فمن حاد عن نهجهم فقد رعى بنفسه فى لجة لا يرى خلاصه منها أبداً ، ومعنى جد الله عظمته وجنبه أمره كما صرح به العلماء ، والمكر عقوبته واستوى على العرش معناه القهر والغلبة ، وهذا أمر تداولته العرب فى تعبيراتها ، وجرى على ألسنها لا يسعنا المقام أن نورد ما جاء فيه عن العرب ، ووجهه تعالى ذاته ، وقد أشار العزيز الحكيم إلى التشابه كهذه الألفاظ التى ذكرناها يقول تبارك وتعالى : (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ ^(١)) أى انحراف (فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ^(٢)) أى لقصص الفتنة أى ليفتنوا للناس بأن الله عز وجل له صورة كصورهم ، حيث يصف نفسه بما يتصف به المخلوق من اليد والعين والاستواء على الكرسي ، وأنه يسعى فيصعد وينزل كما فى حديث : « ينزل ربنا آخر كل ليلة إلى سماء الدنيا ^(٣) » الخ فهذه الأشياء وبحديث : « خلق الله آدم على صورته ^(٤) » وأمثال ذلك مما يؤهم التجسيم .

وتستروا بأن الله وصف نفسه بذلك فنحن نصفه بما وصف به نفسه ، لا تأوله ولا نبذله ، وهذا لا يتفق لهم فلاهم ينكرون المجاز وإنكار المجاز محض مكابرة لا يقوم لها مناصر من عقل أو نقل ، بل يجب تنزيه الله عز وجل عن كل ما يؤهم النقص أو يشير إليه .

(١)

قال فى القواعد : يجب على العبد معرفة ربه والإيمان به ، أى

بوجوده وأنه موجود بغير مشاهدة ، قديم بلا بداية ، أوجد منها نفسه
دائم بلا نهاية ، حتى قبوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، عالم بما كان وما يكون ،
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا يخفى عليه
شئ في الظلمات ، قادر بلا تكلف متكلم بلا لسان ، سميع بلا آذان ،
بصير بلا حدة ولا أجمان ، إله كل شئ وخالقه وإليه منتهاه ، اخترع
الخلق من غير مثال سبحانه من قادر حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

الحلقة الثالثة

في إثبات الكمال لله

«علم أيها القارئ الكريم أن الكمال المطلق هو الله جل شأنه لا يشاركه فيه أحد وإن اتصف بالصفات السامية وتظاهر بالخصال العالية ، فلنأخذ إلى النقص نتول وإلى العدم تنتهي ، أما كمال الله فهو لا غير وبذلك يعلم ثباته ، وفي الصفات المارة ما يدل على الكمال الإلهي ، فإنه إذا امتنع في حقه النقص ثبت له الكمال ، وتأويل المتشابه بما قلناه موجب لكمال الله ؛ وإبقاؤه على حاله الظاهر معرب عن النقص ولا يرضى به عاقل مهما كان ، ولا يصح أن يضاف إليه تعالى شيء يوهم النقص فضلا عما يوجب »

فالكمال لله وحده لا شريك له والجلال لله ، فهو المستحق له عقلا ، نقلاً ، وقد وردت السنة النبوية باختصاصه تعالى به ، وفي الحديث القدسي كذلك يقول الله عز وجل فيما يرويه عنه سيدنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري »^(٤١) والحقيقة لا رداء ولا إزار بالمعنى المعروف ، ولكن معنى ذلك أن الكبرياء صفة من صفاتي ، وكذلك العظمة . وكذلك قوله تعالى : « من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليفر من تحت أرضي وسماي »^(٤٢) ، والحقيقة أن الفرار يستحيل وفيه عظيم التعجيز ، فأين المفر ؟ كلا لا وزر لي ربك يومئذ المستقر^(٤٣) وإذا ثبت العجز من البشر ثبتت القدرة للمليك المقتدر ، وإذا ثبتت قدرة الله ثبت عجز المخلوق ، وإذا ثبت عجز المخلوق برز كمال الله وأشرق جلاله ، وتحقق انصافه بالأوصاف التي لا تليق بغيره ، فهو الكامل في ذاته وصفاته ، المحيط بكل شيء .

ولا يخفى أن الله عز وجل هو الأول والآخر والباطن والظاهر^(٤٤) ، وهو بكل شيء عليم^(٤٥) ، وعلى كل شيء قدير^(٤٦) ، والفعال لما يشاء ، تساوى معه خلق الذرة والجبل والبحر والهاكل العظيمة ، لا فرق عنده بين خلق

السموات وما فيها والأراضين وما عليها ، يعلم ما دق كما يعلم ما جل ، وهو
ولى كل شيء له الحكم وإليه ترجعون ، فكل ما يتصور فى الأفهام ، أو
يتخيل فى الأوهام ، أو تختلج به النفوس ، أو تتحرك له الرءوس فالله خالقه
والله مالكه ومديره ومقدره ومصوره كل شيء بيده ، فهو الذى قضى
الأمور إجمالا وأنفذها فى الخارج تفصيلا ، ولم يخرج منها شيء عن سلطانه
غير محتاج إلى شيء ولا مفتقر إلى خلق من خالقه ، ربى الجنين فى بطن أمه ،
وأطعم الحوت فى لجج البحر ، ويسر له ما يعيش به ، ولم يكل خلقا إلى
خلق ، ولم يستحققر ضعية^أ ولم يتعاضم بشيء مهما كانت صفته ، سبحانه من
بديع فى ملكوته :

إيضاح لمعنى التوحيد

لا يخفى أن التوحيد بالمعنى المصطلح عليه عند العلماء ، فهو عند المتكلمين علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية ، فهو مكتسب من أدلتها اليقينية ، وعند الفقهاء هو إفراد المعبود بالعبادة ، وإلى هذا يشير القرآن حيث يقول : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)^(١) ، ويقال هو إثبات ذات لا تشبه الذوات ولا معطلة عن الصفات ، والحكم بالشئ الحقيقي أنه واحد هو مفاد التوحيد ، والتوحيد هو الاعتراف بأن ما في الوجود كله من الله ، وكل شئ منه ويعود إليه .

فالتوحيد عقيدة وعمل . وعلى هذين الأصلين يقوم الدين ومن اعترف بوجود الله وأثبت له الصفات المارة فقد وحدّه ، ومن اعتقد أن الدين لله ليس لغيره مهما كان في الدين ، فقد اعترف بتوحيده ، ومن عمل لله عملاً لم ير لغيره فيه حقاً فقد وحدّه ، ومن سلم أمره إلى الله وفوض إليه الأشياء ، وتوكل عليه وخافه ديناً فقد وحدّه ، ومن عمل عملاً رجا فيه الجزاء من غير الله فقد أخطأ فيما صنع وارتكب مركباً وعراً .

فالله مع القريب والبعيد والصغير والكبير ، لم يخلق الخلق عبثاً ، ولم يترك أحداً منهم سدى ، ولم ينس مخلوقاً مهما كان في لجج البحار أو أطباق الأرض ، أو بين السماء والأرض ، فهو المطعم وهو الساقى ، وهو الكاسى والمصح والممرض ، وهو الذى وضع الأسباب وهى المسببات ، وكل ذلك من التوحيد والحمد لله .

الحلقة الرابعة في الرواية وما جاء فيها^١

لا يخفى ان القول بالرواية يهدم التوحيد من أساسه، ويقضى عليه من أصله ، فإن الرواية توجب الحلول والله منزّه عنه ، وثبت التحيز ، وتقرر الظرفية وتحقق التلون ، وتقضى بالجهة ونحو ذلك ، فهذه كلها قوادح في صحة الألوهية يتعالى الله عز وجل عنها، ولم تبق صفة من الصفات الإلهية ثابتة على أساسها ولا قائمة على قواعدها ، فالذى يرى لا يصلح أن يكون ربّاً ، فإن الرواية للمخلوقات ، ورب الأرض والسموات منزّه عنها، والتكليف لا يليق بجلال الله وعظمته وهو من لوازمها ، والتمييز للذات العلية غير ممكن ، والقائل بالرواية مخطئ خطأ لا يغتفر أو يتوب إلى الله ويستغفره ، وما ورد مثبتاً لها فقد أنكره المسلمون وحكموا بوضعه ، فإن أصله من دسائس اليهود لعنهم الله .

ولقد كنت كتبت في الرواية كتاباً جمعت فيه ما يقوله الذين يقولون بالرواية ، وما يستدلون به وما يقوله النافون لها وما لهم من أدلة ، وأضفت إليه القصائد البلكفيات^(١) السبع ، وكنت حملته معي فاطلع عليه الإمام الخليلي^(٢) رحمه الله ، فأخذه لينظر فيه فاختلس منه ولم يعلم من اختلسه منه ، فضاع الكتاب مع ما ضاع من مخطوطاتنا ، وعسى أن لا يضيع أجر عملنا مع الله عز وجل . ثم في هذه الآونة أراد مني الولد النجيب أفصح بن حمد بن سالم الرواحي^(٣) ، أن أجمع له من هذا المقام ما يحضر ، لما تلقاه من بعض الناس الذين يقولون بالرواية ويتبجحون بها ، ولو تحققوا لعلموا أن الأمر جال والإقدام عليه عظيم ، لأن الكلام في صفات العلي العظيم .

وها نحن نسوق من ذلك هنا جملاً يتجمل بها المقام ويتضح بها المرام ،
 إذ تعبر عن صفات ذى الجلال والإكرام ، ونستعرض الأدلة التي فيها
 النزاع ، يقول نبي الله موسى في مناجاته لربه : (رب أرني أنظر إليك قال
 لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى
 ربه للجبل جعله دكاً وخرَّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت
 إليك وأنا أول المؤمنين) و (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا)^(٤١) ،
 وهذا الميقات الذي ذكره موسى عليه السلام هو الذي ذكره عز وجل
 بقوله : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)^(٤٢) إلخ وآخره فأخذتهم الرجفة ،
 أي هو وقومه الذين اختارهم موسى ليكونوا مستعدين لحضور الميقات ،
 إذ سألوه رؤية ربهم تنظعا عليه وعناداً ، فلهم هم القائلون : (لن نؤمن
 لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة)^(٤٣) وأخبارهم موسى عليه السلام
 لحضور الميقات ليسمعهم منعها في حقه ، فكيف بهم وموسى نبي الله
 عليه السلام وكليمه ، فلما امتنعت في حقه فن باب أولى تمتنع في
 حق غيره .

وقوله : وكلمه ربه أي أسمعه كلاماً مضافاً إليه ، ولن يقدر مخلوق
 مهما كان مقامه أن يتكلم على لسان الله عز وجل ، وإن كبح الكبر
 والبطر بأحد فحاول ذلك أن يفاج ، فإن الله عز وجل يعجل له نقمته .
 وهذه الآيات تهدد سائل الرؤية وترميه بالصواعق التي تنزهق لها الأرواح ،
 فقولته عز وجل : (لن تراني) هو نفى أبدي لا يمكن وجوده في حال من
 الحال ، فإنه لو جاز أن يرى في الآخرة لحاز أن يرى في الدنيا ، لأنه هو
 الذي في الدنيا هو أيضاً نفسه في الآخرة ، فهو رب الدنيا والآخرة . وقوله

عز شأنه : (ولكن انظر إلى الجبل) هل يقدر أن يستقر إذا تجلى الله له مع أنه أعظم من موسى ولا عقل له يتصور به عظمة ربه ؟ فلما تجلى له جعله دكاً وخر موسى صعباً لاندكاك الجبل مفضياً عليه من خوف ما رأى من الواقع على الجبل ، وصعق عليه السلام من هول الحادث ، ولذلك لما أفاق قال : (نبت إليك وأنا أول المؤمنين) أى المصدقين بأنك لا ترى ، وكذلك أرجف بالقوم كما قال الله جلّت قدرته : (فأخذتهم الرجفة) أى الكل ترعزوا لتلك الرجفة التى أرسلها الله عز وجل .

وقال موسى عليه السلام متضرعاً إلى ربه : (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ، أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) وقوله : (أهلكتهم من قبل) أى من قبل الميقات ، وقام عليه السلام يُعاتب ربه حين قال : (تهلكنا بما فعل السفهاء منا) فسفههم حيث طلبوا من ربهم ما منع منه عباده ، وأضاف موسى عليه السلام الفعل إليهم إذ قال : (بما فعل السفهاء منا) لأنهم هم الطالبون للرؤية وهو طامع فى إسلامهم كطمع بيينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى إسلام أولئك العتاة من العرب ، فالتفت إليهم ولم يلتفت إلى ابن أم مكتوم فعاتبه فيه ربه فى سورة (عبس) ، ولذلك أيضاً سماها موسى عليه السلام فتنة حين قال : (إن هى إلا فتنتك) وما هى فى الحقيقة إلا عقوبة لهم لأجل عنادهم ، ثم سماها ضلالاً أيضاً ، والضلال موجب للعقاب . ولذلك خرم موسى عليه السلام مبهوتاً مرتاعاً من سطوة الله جلّت قدرته ، لأنه يعلم أن سؤال مثل هذا عظيم :

ولذلك أيضاً لما أفاق من دهشته قال : (سبحانك) أى تنزيهاً لك من

الرؤية ، قال : (ثبت إليك) أى من سؤالى هذا ، والتوبة لا تكون إلا من ذنب فى مثل هذا المقام الهائل المحرج الذى لا ينبغي لأحد أن يتجاسر عايه مهما كانه ، وكل ذلك فى غاية الوضوح والظهور إلا عد من لاعقل له .

ومن أدلة القائلين بالرؤية من الكتاب قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)^١ ، وهؤلاء أخطأوا فى التأويل من نواحي :
أولا قوله : (يومئذ ناضرة) إشار إلى يوم القيامة وهم يقولون : إن الرؤية تكون إذا دخل أهل الجنة الجنة وتلقوا النعيم المقيم والفضل العظيم ، دعاهم الله إلى زيارته وتجلى لهم عياناً ، فقال لهم : ألم أنعم عليكم الحديث فيتجلى لهم ، فما كان شئ أحب إليهم من رؤية الله ، وهذا يرده العقل الصحيح والذهن الرجيع ، حيث فيه الإحاطة والتمييز والتلون ، ووجود الجهة التى تكون رؤيته فيها إلى أشياء عديدة من كون الوجه هو الرأى ، وغفلوا عن أن الآية تخبر أن الناس يوم القيامة يكونون صنفين :

صنف أشرق السرور عليه بتلقى بشارات الرضا من أول يوم ، فهو مسرور مشرق الوجه طبعاً ، فإن ذلك الرضا الذى يرى العبد البشرى به يكسوه من الغبطة والفرح ما لا يوصف ، لأنه سيصير إلى نعيم مقيم وملك لا يبل ، وعز لا يتغير ، فهو مسرور بذلك ويبقى ينتظر الأمر بالمصير إليه ، وهذا أمر طبيعى محسوس ومعقول أن من وعده السلطان بالمنزلة العالية والكرامة الوافية يبقى متبهاً ينتظر ذلك الموعد بنشاط .

والصنف الثانى من الناس الذى تلقى بشرى السخط والغضب يبقى

كثيراً متغير الوجه ينتظر ذلك الوعيد في روعة ورعب يكاد تنشق مرارته من الخوف ، ومعنى ناظرة بالطاء منتظرة حلول تلك الكرامة التي جاءت بها لهم البشرى من الله عز وجل ، فهم يتشوفون لها ويتطلعون إليها ، فهي من خصوصيات الصنف الأول المبعود بالحر من الله .

وأما الصنف الثاني الذي قال الله عنه : (ووجوه يومئذ باسرة)^(١١) أى كالحة (تظن) أى حين رأت بشرى السوء (أن يفعل بها) الفعل الشنيع الذي دلت البشرى عليه (فاقرة) أى هالكة ، لأن أهل الآخرة فريقان هما من سرته البشرى ومن ساءته ، فريق في الجنة وفريق في السعير .

وقولهم : إن الرؤية التي بمعنى الانتظار لا تعدى إلى ليس بشيء ، بل جاءت معداة إلى في الكتاب والسنة ، وإشعار العرب الذين هم حجة العربية .

ومن أدلة القائلين بالروية بل مما تكلفوه في قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)^(١٢) أى لا تحيط به ، ففسروا الإدراك بالإحاطة والمعنى لا تحيط به ، بل تراه ولا يتم لهم ذلك لردّه بالمعقول والمنقول ، فلا نطيل به المقال ، واستدلوا أيضاً بلفظ الزيادة في قوله عز وجل : (لهم الحسنی وزيادة)^(١٣) ، قالوا الحسنی الجنة ، والزياده رؤية الله عز وجل ، وهذا مردود أيضاً بالعقل والنقل ولا يخفى بعده من الحق ، ولقد أشبعنا القول في الرؤية عن أهل العلم في كتابنا « إيضاح المنار »^(١٤) في عدم رؤية الجبار :

نسأل الله أن يجعله حجة واضحة ترد الباطل ، ومِعْوِلاً حاداً يكسر ضلال كل جاهل ، والله يجب تنزيهه عما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى ، فإن القول بالرؤية من نوع القول بالمتشابه على ظاهره ، فإن هذا كله يقدح في ذات الله وما يقدح في ذات الله فهو كفر وضلال ، نعوذ بالله من سوابق الشقاء ، ونسأله العون على طاعته ، وأن يمنحنا الهدى فإنه من يهدي الله لا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له والله حسبنا ونعم الوكيل .

أعداء المذهب الأباضي في الإسلام

لا يخفى أن أعداء الحق في العالم هم الأكثرون ، والطاعنون في المسلمين هم السواد الأعظم ، ألا ترى قريشاً وهم العدد الوفير ومحمد عليه الصلاة والسلام ومن معه هم العدد اليسير ، وكان مع قريش الضلال وعند محمد عليه الصلاة والسلام الهدى والتقوى ، فكان محمد الممقوت تضاف إليه الصفات المستقبحة كالكذب والخنون والسحر ونحوها لقصد التنفير منه والابتعاد عنه ، حتى لا تقوم له قائمة في العالم ، فتتفر منه الطباع وتبتعد عنه الأخبار ، ومضى على ذلك عهد غير يسير فناله في ذلك العهد الأذى والشتم والتقيح وسوء الأحداث ، حتى أظهره الله على أعدائه ، وسلطه على كبح جماح البغي والفساد في الأرض ، ليظهر الله به حجته على عباده ، ويقم به دعوته في بلاده ، حتى تمت حجة الله على الخلق ، وأقام الله به على ذلك أعمدة الحق ، حتى لا يقولوا يوم القيامة : «ما جاءنا من بشير ولا نذير»^(١) لقد جاءكم بشير ونذير فكذبتم ، وجاءكم الهدى فأعرضتم ، وجاءكم الحق فلم تقبلوه . وكذلك المذهب الأباضي لقي من أعدائه ما لا تحمد عقاه ، ولا يرضى به ولن يرضى ما ينسبه إليه أعداؤه ، ولكنه يحتمل في جنب الله كل ما يسمع ، ويرى ويمر على ذاك بسلام ، لأنه يعلم أن الحق له أعداء لا يقلون عدداً ولا يضعفون مدداً ، وقد كتب أعداء هذا المذهب كل منهم ما يحب ويهوى ، ولا يلتفت المذهب إلى هؤلاء القائلين أو الكاتبين ،

(م ٨ - طائعات)

بل يقول كما قال الأول من أهل الصدور الواسعة والعقول
الرزينة :

فن صد عنا حسبه الصد والخفا
ومن فاتننا يكفيه أنا نفوته

ولا شك أن الإعراض عن أهل الأهواء وأهل الزيغ يكفى أن
يكون جواباً ، لأن الجواب القولى لا يقع أحداً ولا يقتنع به أحد ،
بل يزيد شقة الخلاف ، ولا يزال يوسع مسيرة التباعد ويشتع على
النفوس بما يثير نعرتها ، ولذلك ترى المذهب الأباضى لا يطعن فى
أحد ولا يلعن أحداً ، ولا يقدر فى أعراض الناس ولا يرى إلا الحق
شياً يجب أن يعنى به ، فالذين يقدرحون فى المذهب أكثرهم غلب
عليهم سوء الطوايا ، وأغلبهم طغى بهم الحسد وحرك بعضهم التبجح ،
وهجم بعضهم سوء النوايا حتى نسبوا إلى الأباضية ما هم أبرياء
منه ، وأضافوا إليهم ما ليس هم منه فى قبيل ولا دبر ، وأضاف
إليهم بعضهم ما لا يرضى من القول . وما كان بالأباضية قصور ولا
تقصير ، ولكنهم يفضلون التمسك بقول القائل :

ولفسد أمر على اللثم يسبى
فعرضت ثمت قلت لا يعننى

وهكذا شأن رجال الأباضية فى أغلب أحوالهم ، ولا يوجد عنهم
طعن أو قرح فى مذهب من المذاهب ، لأن الطعن أو السب لم يرد عن
الشارع ولا أمر به فى حال من الحال ، وكان رسول الله عليه الصلاة

والسلام يسمع من قومه الكثير وكأنه لم يسمع ، وبذلك امتاز على غيره حتى قال الله له : (وإنك لعلی خلق عظیم)^(١)

فإذا أردنا أن ننقل عن الطاعنين في المذهب ضاق بنا المقام وبعدت شقة سفرنا في هذه الناحية الشاسعة السوداء المظلمة التي يتلون فيها الحريت ، ولا شك أنا نفضل المرور بسلام فنسكت عن كل قائل ونعرض عن كل ناقل ، ونكل الناس إلى الله ، وعلينا أن نكشف النقاب عن وجه الحق ونبرزه مجلواً بضوء حوالك الجهل ، فمن وفقه الله للهدى ورأى الحق فاتبعه وعرف الباطل فاجتنبه ، فذلك فضل من الله وتوفيق منه للصالحات والله على لسان كل ناطق والله المستعان .

الحلقة الخامسة

في الولاية والبراءة الشخصيتين

اعلم أن الولاية والبراءة نوعان ، وكل نوع منهما ينقسم قسمين : هما ولاية الأشخاص وولاية الجملة ، وبراءة الأشخاص وبراءة الجملة ، ولا يخفى أن الولاية والبراءة تجان للأفراد كما تجان للجماعة ، ومن خصهما بالجماعة دون الأفراد وقع في قصور وتقصير ، فإن الله سائل يوم القيامة كل نفس عن أعمالها ومجازيها على أفعالها ، ولا وجه لاختصاص الجماعة بحكم هذه صفته ، وقد أوضح الله الكريم في كتابه الذي هو الصراط المستقيم الولاية لشخصية والبراءة الشخصية ، كما أوضحها في الجماعة .

يقول الله عز وجل حاكياً عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، إذ يقول في أبيه : (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)^(١) ، ثم أنشأ الله على إبراهيم على أثر ذلك فقال : (إن إبراهيم لأواه حلیم)^(٢) ، وكذلك قال الله عز وجل في البراءة الشخصية حيث قال : (تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى ناراً ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد)^(٣) ، لأن أصل الولاية الموافقة في الدين ، وأصل البراءة المخالفة فيه ، فكل موافق في الدين فهو ولي وكل مخالف فيه فهو عدو ، سواء علمت بالموافق في الدين أو جهلته ، وهكذا المخالف فيشمل ذلك من علمت ومن جهلت ، ومن حضرو ومن غاب .

ولهذين الأصلين ثمرة : فثمررة الموافق محبته وإعانتة ومناصرته وتأنيده عدوه والركون إليه ، وبضد ذلك المخالف ، ولا يستقيم الدين بغير ذلك ، وقد صرح بهذا القرآن العظيم والنبي الكريم حتى الولاية اللغوية . قال الله عز وجل :

(١١) وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، وإن كان هذا من قبيل الولاية اللغوية كما أفدتك ، إلا أنه يوجب المناصرة لنسبة الإسلام للمستنصر بالمسلمين .

ومن ولاية الأشخاص ولاية أم موسى وامرأة فرعون ، وكذلك مؤمن آل فرعون والرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ، وفي البراءة ما يقابل هؤلاء كالذي حاج إبراهيم في ربه ، وكالذي جاء في قوله تعالى : (والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) ؟ فهذه أدلة واضحة كالشمس ولا توجد هذه الأحوال إلا مع الأباضية ، والولاية من الأمور المفروضة في الدين كالبراءة لمن اتصف بصفتها ، توجه إليه حكمهما ، قال الله عز وجل في كتابه الكريم : (إن الدين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض) إلى أن قال : (لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) ، وفي ولاية الحملة أيضا قوله عز وجل : (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) ، فأوجب الله جل شأنه معرفة وحدانيته عز و علا ، ثم أمر بعد ذلك بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات .

ولا يخفى أن وجوب الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، موجب لولايتهم إذ لا معنى للأمر بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات في مثل هذا المقام إلا الوجوب ، ولا يصح الاستغفار لغير الولي ، ألا تسمع ذا الجلال والإكرام يرسل العذر لنبية إبراهيم عليه السلام : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة عداه إياه) ، إذ قال إبراهيم عليه السلام لأبيه : (سوف أستغفر لك ربي) (١٢) فالولاية واجبة على جميع المكلفين كوجوب سائر التكاليف من غير فرق

لاقترانها بالأمر بمعرفة وحدانية الربوبية ، وقال الله عز وعلا في النساء :-
(فبايعهن واستغفر لهن الله)^(١١) أى أسأل لهن المغفرة من الله .

فلاستغفار لهن موجب لولايتهن قطعاً ، لا يقال إن هذا أمر خاص .
للذبي عليه الصلاة والسلام ، فإن قرائن الحال دالة على دخول الأمة معه .
في هذا الحكم ، وفي الآية الأخرى يقول الله تبارك وتعالى : (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا)^(١٢) ، فنع الله من ولايتهم حيث بقوا على العصيان بعدم الهجرة المفروضة عليهم ، وقال الله عز وجل : (والكافرون بعضهم أولياء بعض)^(١٣) ، فنفي أن يكون المسلمون لهم أولياء ثم قال : (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)^(١٤) أى إذا لم يوال المؤمنون للمؤمنين ولم يعاد المؤمنون للكافرين تكن فتنة وهي القتل ، وتطاول أيدى الباطل على أهل الحق ، ويظهر الكفر على الإيمان وفي هذا غاية الفساد والله المستعان .

ولا يخفى أن البراءة تجب من أهل المعاصي مطلقا سواء كانت كبائر .
كفر نعمة أو كبائر شرك ، كما نص على ذلك القرآن وإجماع المسلمين .
مطلق على ذلك .

والبراءة الشرعية توجب البغض ، أى أن البغض ثمرة البراءة من أهل .
المعاصي مطلقاً ، أو كذلك الشتم ، أى شتم العاصي لعصيانته ولعن الكافر لكفره . قال الله تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)^(١٥) فقد .

صرحت هذه الآية كل التصريح بالانكسار بإبراهيم ومن معه من المؤمنين ، إذ قالوا أى حين قالوا فى حال قولهم إنا برآء منكم ، أى متبرئون منكم . ومن معبودكم الذى تعبدونه بغير حق حتى تؤمنوا ، فجعل الإيمان غاية لهذه البراءة .

فالإيمان بالله وحده يتضمن توحده وعدم الشريك معه ، فالآية بمفهومها تنعى على الذين لم يأتسوا بإبراهيم كل الانكسار به وبمن معه من المؤمنين ، وهذا هو المؤمن الصحيح الإيمان ، وهو أن يحب فى الله ويعادى فى الله ، ولا يلتفت إلى نسب أو قرابة أو نحو ذلك من ريش الدنيا ، فإن مصير الكفر إلى النار ، وعلى المسلم أن يتباعد منه ومما يصير إليه باجتنابه ، ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه .

وفى الحديث القدسى : « من عادى لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة » ، وفى آخر - حديث قدسى أيضاً - يقول الله لعبده : « هل واليت لى ولياً أو عاديت لى عدواً » فإن معاداة الولى عزيمة عند الله عز وجل ، وكذلك موالاته العدو فإنها بنص القرآن ، فهى كبيرة من كبائر الذنوب تجب البراءة من فاعلها ، ومن يتولى البغاة والفساق وأهل الكبائر فهو منهم ، وحكمه حكمهم لقوله تعالى : (ومن يتولهم منكم) أى معشر المسلمين ، (فإنه منهم) أى حكمه حكمهم ، والمعنى من تولاهم وجبت البراءة منه ، لأنهم هم فى البراءة ووجوب البراءة من أعداء الله ثابت إجماعاً ، وإنما خلافتهم فى الأشخاص .

وقد بينا دلائل الأباضية فى ذلك ولهم فى موارد "ولاية والبراءة ثلاثة أحوال هى الحقيقة والحكم بالظاهر من الأحوال ، والحقيقة فى الجهتين ، والثالث الوقوف فى من أشكل أمره لقوله تعالى : (ولا تقف ما ليس

لك به علم^{ال} والحديث: « الأمور الثلاثة أمر بان لك حقه فاتبعه ،
وأمر بان لك غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فقف عنه » ونريد بالحكم^{ال}
بالظاهر ولاية الحملة وبراءتها وولاية الحقيقة موجبة وكذلك البراءة
بالحقيقة ، وأحوال الوقوف أقواها وقوف الدين وهو فيمن لم يعرف منه
حق أو باطل ، والرأى في الولي إذا ركب محجوراً ووقوف الرأى فيمن
أتى بأمر لم يعرف حكمه من الحق أو من الباطل والله أعلم .

الحلقة السادسة في حديث الافتراق

لا يخفى أن الله عز وجل قضى على الأمة بالافتراق بعد نبيها، كما أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه الكريم إذ قال : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) أي اقتضت حكمته تعالى بافتراقهم لتمييز الحق من المبطل ، ويثبت أهل الإيمان من سواهم ، فتكون بذلك منازل السعادة عنده للمؤمنين وينزل إلى مدارك الشقاوة أهل الباطل من القوم الكافرين ، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن افتراق أمته بعده ، كما افترقت الأمم قبلها . قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « بلوت اليهود فوجدتهم قد كذبوا على أخى موسى فافترقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة ناجية وهى التى فى قوله عز وجل : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) ، وبلوت النصارى فوجدتهم قد كذبوا على أخى عيسى فافترقوا على اثنين وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة ناجية وهى التى فى قوله جل شأنه : (ذلك بأن منهم فسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة ناجية » قالوا يا رسول الله صف لنا من هى . قال : « ما عليه أنا وأصحابى » أي الذين يثبتون على ما أنا عليه وأصحابى ويسبرون بسيرتى ، ويستنون بسنتى ويتبعون أثرى . لا ينحرفون عنه قيد شعرة ، ولا يبدلون أمرأ من أمره عليه الصلاة والسلام هان الخطب أم عظم ، فلا قيصرية ولا كسروية ولا جبروت إلا عند ما يكون الباطل جباراً عنيداً .

والحديث رواه أئمة الحديث كأبى داود والترمذى وصححه إذ قال حسن صحيح ، ورواه ابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعاً وهذا نصه عنده : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى كذلك ، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة ناجية » قالوا من هى يا رسول الله : « قال ما أنا عليه وأصحابى » اهـ وما عليه هو وأصحابه عليه الصلاة والسلام ورضى الله عن أصحابه معروف وهو على الإجمال الاستقامة فى الدين والخضوع لأوامر رب العالمين فى الدقيق والخليل ، فلا ظلم ولا جور ولا بغى ولا انحراف عن المشروع مهما كان ، وروى الحديث أيضاً ابن حبان والحاكم فى صحيحيهما بنحو ما مر ، وقال الحاكم إنه حديث كبير فى الأصول ، وجاء أيضاً من طرق متعددة فقد جاء من طريق سعد بن أبى وقاص وابن عمر وعبد الرحمن بن عوف ، وعن أبى الدرداء وعن معاوية بن أبى سفيان ووائل بن الأسقع ، ورواه الربيع عن حبيب عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضى الله عنهم ، فثبت سنده العالى وصحت طريقه ، فلا مقال فيه إلا الصحة .

وأشار بقوله عليه الصلاة والسلام : « كلهم إلى النار »^{٩١} فى رواية الإمام الربيع ، أى يصيرون إليها والعياذ بالله ، وذلك لخلافهم للحق الذى أوجب الله عليهم اتباعه ، ومن ترك الواجب القطعى فهو هالك قطعاً لأن الله عز وجل توعد على خلاف الحق ، وواجب على ذلك النار .

وفى بعض طرق الحديث : « وكلكم يدعى تلك الواحدة » وفى حديث البقيع ما يؤيد ما نقول وهو واضح .

وأول باب ففتح لافتراق الأمة ففنته عثمان ثم تلتها ففنته صفين (١)
 إذ نكث طلحة والزبير بيعة على بن أبي طالب ، وفر النهروانيون بعد
 خلع على وتسלט على الأمر غير أهله ، فكانت وقعة النهروان ومنذ ذلك
 العهد وبذر الافتراق ملأ فضاء الإسلام ، وإذ ذاك قام الملك العضوض
 الذى يعرفه كل أحد ومن هنا قام منادى الافتراق يدعو للشقاق والنفاق ،
 ودخل العلماء بيوتهم وأغلقوا أبوابهم على أنفسهم ؛ إذ ساءهم الحال
 ولم يروا إلا من يعرض على الملك بأنباب الافتراس ، ومن يستبجح حرم
 رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا يبالى ، وفضت الأبيكار وهتكت
 الأستار وهم أن يفعل نفس الفعل بمكة المكرمة ، ومن يلقى القرآن فى
 الجوالق ، ومن يقول له هذا فراق بينى وبينك ، وحينئذ لم يبق لأهل العلم
 حق ، ولا لأهل الإيمان عون ، وإذ ذاك قامت دواعى الاعتزال ووضعت
 الألقاب وحصل التباعد وشاع نبز البعض للبعض ، وقام التذهب وحصل
 التأييد لأناس والتنديد بناس ، وكل القوم على حلق يثيرة ذوو السياسة
 المفرقة وأهل الرئاسة الممزقة تصديقاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام ،
 حيث يقول : وكلكم يدعى تلك الواحدة ، والدعاوى منها ما كان على
 حق ، ومنها ما كان على غير ذلك .

❦ وإذا أراد الإنسان أو الفريق أو أهل مذهب أن يعلم هل هو ما عليه
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأصحابه رضوان الله عليهم فلينظر فى
 القرآن ، وليعلم هل هو سالك طريق الحق فيه عاملاً بما جاء به متبعاً
 لسنة ، قائماً بواجباته آخذاً بما يدعو إليه داعياً إلى الله بحسب مقتضى
 أوامره غير مصر على باطل ولا سالك سبيلا ، نائية عن أوامره غير

متعصب لباطل ولا مقلد لهوى مواليا لأهل الحق ، معادياً لأهل الظلم صابراً محتسباً لله آمراً بمعروف دعاء الله إليه ، ناهياً عن منكر أمر الله بالبعد منه قائماً بحدود الله ، ثابتاً على منهاج العدالة غير محاب ولا مداهن ولا راض بما لا يصح به الرضا مع الله ، سائكاً مسالك أهل الإيمان ، سامعاً مطيعاً لدعوة الله عز وجل ، لا يخاف في الله لومة لائم ، يقول ويفعل فيما يرضى الله عز وجل ، لا يبداهن في الدين ولا يقتنع بالألقاب الفارغة ، ولا يفارق القرآن في حله وترحاله ، ولا يتبع لهوى الألفس ، فإن عاشئة أم المؤمنين رضى الله عنها لما سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قالت : « كان خلقه القرآن »^(١) ، أى كان متخلقاً بالأوامر التى فرضها القرآن لم يحاد عنها قيد شعرة .

وهذا الوصف من هذه السيدة المصونة ينزل على أعلى ذروة في البلاغة ، فله درها من سيدة عربية تتكلم بأجزل الكلام وأبلغه .

ولا يخفى أن من كان على الصفات التى كان عليها السيد المصطفى وأصحابه من أى الأجناس ، فهو المسلم الحقيقى الصحيح الإسلام الثابت على الأركان الإسلامية ، سواء كان أباضياً أو حنفياً أو شافعياً أو مالكيّاً أو حنبليّاً أو أو . فلن الحق هو اتباع القرآن وامتنال أوامر السنة النبوية وآثار السلف الصالح المعتمد على الكتاب والسنة ، فاليس للألقاب عند الله معتمد صحيح أيا كان .

ولكن لما كان الأباضية لا يعتمدون إلا على الكتاب والسنة وإجماع الأمة المحقة ، ولا يبالون بما عدا ذلك كانوا أولى بأن بوصفوا

بالحق وباتباع الحق وبالقرب من الحق ، كما يقول بعضهم فإن الأباضية يفرون من الباطل ولا يعدون المبطل إلا جارماً على الحق ، ولا يعتمدون أئمة الفسق ، ولا يخضعون لدعاة الفساد إلا إذا كانوا مجبوتين ، ومن يقرأ تاريخهم يعرف لهم بما قلنا إن لم يغط عن قلبه داء الحسد ، وإذا حسدونا في الدنيا ونحن على حق فلن يقدرُوا أن يحسدُوننا يوم القيامة ، وإذا جئنا إلى الله والحق معنا فلن يضرنا شيء أبداً مما عليه غيرنا .

وملوك الأباضية معروفون باتباع الحق في الأزمات التي تواجههم :
انظر إلى جيفر وعبد إذ أسلما على يدي عمرو بن العاص صحار تخايا لديه من كل شيء ولم يعترضاً عليه في شيء ما ، بل قال له إليك الأمر وأئمتي ونحن من ورائك لرد معارضيك ، وسلمنا إليه قبض الصدقة . وكذلك لما تغالط جابي الزكاة وامرأة من آل لقيط بن الحارث ابن مالك بن فهم وظنهم الجاني مرتدين فصال عليهم فقبض الكثير منهم . وخرج بهم إلى المدينة ، ولم يعترض عليه أحد من قومهم ، بل سار زعمائهم خلفهم حتى تلاحقوا بالمدينة لدى الخليفة أبي بكر ، وشكروا إليه أمر عامله وما صنع ، وأنهم لم ينزعوا يداً من طاعة وصح ما قالوه ، فهدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عامل أبي بكر على فعله ، ورد القوم إلى بلادهم محترمين موفرين من بيت مال المسلمين ، إذ أعطى حمر بن الخطاب كل فرد منهم ثلاثمائة ثلاثمائة ، ولو كان أهل عمان مرتدين لم يقدر المصدق أن يفعل فيهم شيئاً ، وهم في بلدكم أكثر من عشرة آلاف مقاتل ، وعلى الأقل اكانت بينهم مقتلة عظيمة ، لكنه لم يكن

من ذلك شيء ما ، وهكذا كانت أحوالهم ، فإن قيل إن الأباضية هم أهل الحق فغير كثير .

فهذا الإمام سعيد بن عبد الله الرحبي يواقع السلطان يوسف بن وجيه^(١) في نزوى فيفقد يوسف رزة باب لا تساوى ربع دينار طلبها الإمام بغاية الجلد حتى ردت على صاحبها ، فأبين هذه الأعمال من أعمال من يستبيح حرم رسول الله بن يديه في المدينة المنورة ، ويبيحها لجيشه الظالم ثلاثة أيام بليلاتها ، فتفتن الأبكار في بيوتها قهراً ، وتهتك الحرم جهاراً . إنها قضية لا تمر على قلب مؤمن إلا احترق بنار الإيمان ، وإذا وازنت بين عمل هذا الخليع الفاسق وبين أعمال المختار بن عوف الشارى الأباضى في نفس المدينة ، كم ترى الفرق بين الرجلين وكم ترى بين جنده الذين يبيتون على المحارب لهم دوى كدوى النحل بالقرآن ، وبين من يلقيه في الجوالق ومن يقول له هذا فراق بيني وبينك ، إنه والله لبون بعيد .

وهكذا حال هذا الجيل الموسوم بالأباضية أينما حل وأينما نزل ، تجدهم يقفون على حدود ما أنزل الله فيرضون بقضاء الله وقدره وبحكم شريعته ، لا تطبئهم الدنيا بزخرفها عندما يناشدتهم الدين ، ولا يميلون إلى ممالأة المجرمين وإن رأوا في ذلك الموت ، فإن أراحهم خلقت لعداء دينهم فيبدلون الله تحت الأسته قرايين ، لم يأت الدهر بمثلهم فيما علمنا ولن يبقى الدين بعدد ذهابهم أبداً إلا أن يكون أسماء لا حقيقة لها . إذ كان ذلك فعلى الدنيا العفا والله الهادى للحق بلاذنه .

أخلاق الأباضية

لا يخفى أن أخلاق الأباضية أخلاق الأنبياء والرسل ، أخلاق أهل العلم والعمل ، أخلاق أهل الصفا والوفا ، أخلاق أهل الحق والعدل ، أخلاق أهل الزهد والورع ، أخلاق أهل الجود والكرم ، أخلاق أهل الدين من المؤمنين لاطيش ولا نزق ولا غلظة ولا توحش ولا تمرد ولا سخرية ولا غدر ولا غش ولا ظلم ولا جور ولا جبروت :

من تلق منهم ثقل لافيت سيدهم
مثل النجوم التي يسرى بها السارى

إذا عاهدوا وفوا ، وإذا وعدوا كذلك ، وإذا قالوا صدقوا ، وإذا قاموا بحق أعطوه من أنفسهم كل ما يتطلبه ، لا يجابون الظالم ولا يمشون للمظالم ، ولا يتبعون كل ناعق ولا يؤيدون أهل الضلال ، ولا يسعون في مناصرة الجبابة ولا يرضون بغير ما يرضى الله ، ولا يحكمون الأهواء المضادة ولا يقتلون دينهم الرجال ، ولا يعرفون الحق بالرجال ، بل يعرفون الرجال بالحق ، ولا يقبلون إلا الدين الخالص ولا يطمثون بغيره ، يبيعون النفس والنفيس في رضا الله عز وجل ، وإن كلمهم الحال حمل الأنفال .

لهم أخلاق لا توجد في غيرهم من الأمم مطلقا للوفاء إليهم حسن الرعاية ، فقيرهم يسبق غنيهم في الكرم ، وصغيرهم لا يرضى دون كبيرهم ، فيه يبيع أحدهم مخرق امراته ليكرم ضيفه ، يسير السائر فيهم ما سار لايهمه أمر إلا نفسه حيث تتقدم على الزعيم في مطلق المجالات ، ينسى النازل معهم أهله ووطنه إذا جلسوا كأن على رؤوسهم الطير ، وإذا تكلموا لم ينسوا الواجب .
(٩٢ - طلاقات)

والأباضية يحاسبون أنفسهم قبل يوم الحساب ، فمن كان على مثل هذا الحال في أى أمة من الأمم وفي أى قطر من الأقطار وعلى أى حال كان فهو على الحق ، ومن عاش عبداً لله مستقيماً كما أمر الله فهو العبد الصالح ، ولا تغنى التسميات الفارغة أو الألقاب الصاخبة فتيلاً ولا نقيراً ولا حسب ولا نسب إلا بالدين (ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)^{١١} ، ولفظ الإنسان يشمل هذا الجنس بقطع النظر عن الادعاءات والانتسابات مع الباطل ، يقول الله عز وجل لنبيه : (وأنذر عشيرتك الأقربين)^{١٢} ، أى حتى لا تقول لهم أنفسهم إنكم أقارب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فإنه لا أثر للقرابة إلا مع الدين والإيمان ، وما من نفس منفوسة إلهية مسئولة عن عملها ، (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)^{١٣} .

إن الأباضية أتقى الناس وأصدقهم في الأقوال والأفعال ، وأثبتهم على طاعة ذى الجلال . يقولون الحق وإن كان مرا ، ويعملون به . ويرى الأباضية بقية أهل المذاهب مسلمين لا يتعرضون لعقائدهم بشيء ، ولا يقدحون في أعمالهم مما لا يخالف دليلاً قطعياً ، ولا يخرج عن أقوال أهل العلم وله احتمال للصحة ، فإن الله لم يأمر بنقض ما جاء عن الله في كتابه الكريم ، أو جاء على لسان نبيه العظيم ، أو أجمع عليه المسلمون .

وتعتبر زعماء المذاهب الإسلامية علماء الإسلام ، ولا يرون لهم عصمة من الأخطاء والأغلاط البشرية ، كما لا يدعون ذلك لأنفسهم ولا عصمة إلا لنبي أو رسول ، كما أجمع على ذلك أهل الحق والعلماء الذين وصفهم الله بأنهم يخشونه ، فهم الحجة على عباده وإن نسب إليهم ما يخالف المعتقد أو يباين المعتقد ، فيجب أن يحاشى مقامهم وتنزه أنفسهم من غير أن يقبل

فيهم غير الحق ، فإن النفوس الحبيثة لها أغراض خاصة تحملها على الدس والغدر والخيانة ، ووضع أشياء تأمل منها البلبلة واختلاف الآراء لاسيما أعداء الإسلام الذين يسوهم ازدهاره . ولا يوجد للأباضية خاصة طعن في مذهب أو قدح في عقيدة مهما كانت خصوصاً التي يكون من شأنها إثارة حقد أو ضغن ، ومن كان علم شيئاً من ذلك فليقل ، وكم قيل فيهم وكم حررت الصحف والمقالات التي من شأنها التباعد وإثارة الشقاق ، وإذا سألهم سائل عن الراجب أفادوه عن صحة وبيان بالدليل والبرهان اللذين يسلم لهما العتل الصحيح والفكر الرجيج ، ويخضع لهما النهى المستنير ، وإذا لم يمتنع السائل تركوه وشأنه ، فإن له ربا يمهمل ولا يمهمل يحاسب على الغتيل والنقيير .

ونقول الأباضية إنهم على الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنهم لم يحدوا عنه قيد شعرة ، وإنهم هم الفرقة الصالحة من ثلاث وسبعين فرقة التي ورد بها الحديث الصحيح ، ولهم على ذلك أدلة معقولة ومنقولة ، كما أن سائر الفرق تدعى كذلك ولديها من الأدلة في نظرها ما يبرر مدعاها ، ومن حيث إن الأمر في ضمير الغيب الذي لا يدركه إدراكاً مقطوعاً بصحته إلا الأفاضل من علماء الأمة ، وغير مستحيل أن يمنح الله رضاه أمة من الأمم التي بثها الله في هذا الكون ، وإذا كان المسلمون كلهم إلى الجنة فلا يضر الأباضية ذلك وهم على أصلهم ثبتاً لا يتزعزعون عنه في وقار بهر الرائي ، ورزانة تعجب الكريم ، ودماثة يحيا معها السقيم فيصدق فيهم قول من قال :

سمت الملأك وهدى الأنبياء على

هاماتهم فكان المقر تيجان

هذا غالب أخلاقهم إلا ما كان من خليط بغيرهم ، يتأثرون بأخلاقه
تأثير العدوى في الأمراض ، وقد شهد ويشهد لهم من خالطهم ، وهذه
هى صفات المؤمنين ، فإنك إذا عرضت صفاتهم على المختبر الشرعى
وأيتها مستمدة من أصول الدين نابعة من مرشد سيد المرسلين ، آخذة
منهم باليسار وباليمين ، إلا فى الشاذ من الأحوال والشاذ لاحكيم مهما كان
والله المستعان :

وطن المذهب الأباضي

لا يخفى أن المذهب الأباضي كان وطنه الأعلى البصرة إذا كانت جديدة العهد بالعمران الديني كما هي جديدة بالعمران الحسي ، إذ كان قيامها بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رحمه الله، وكان العمانيون بها كثيرين ، بل كانت ذلك العهد عمانية أباضية فهي عمانية برجال عمان الهداة ، وهي أباضية بأعلامها التقاة : مثل أبي الشعثاء والخليل بن أحمد الفراهيدي ، والربيع بن حبيب ووالده حبيب بن عمرو الفراهيدي أيضاً ، وكعب بن سوار قاضيها ، وابن دريد المشهور فيها ، وصمام بن السائب أحد رواة ، الربيع ، وأبي عبيدة وأبي الشعثاء أيضاً أعلام السنة ، والمهلب بن أبي صفرة وأولاده .

والكثير من أهل عمان معهم أباضية إذ فيها نشأ المذهب الأباضي حيث وُلد بها وقام فيها وطار منها إلى عمان بحملة العلم الخمسة المعروفين ، ومنها خرج إلى المغرب بحملته الخمسة أيضاً ، وكذلك إلى خراسان بأمثال بشير ابن غانم العلامة الأباضي صاحب المدونة ، وهلال بن عطية المقتول مع الإمام الجليلي بن مسعود^{١٢} رحمهما الله وكان قاضيه ووزيره ومحل ثقته وسيف دولته ، وإلى مصر بابن عباد^{١٣} وأبي المؤرج وأضرابهم وإلى مكة بأبي الحر العلامة الجليل وإخوانه وإلى حضرموت واليمن بطالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي وأنصاره الميامين ، وأبي حزة الشاري المعروف في الصدر الأول .

بأمثال هؤلاء الرجال وهم كثيرون لا يمكن تعدادهم في مختصر يسير كهذا ، وزعيم الجماعة هو عبد الله بن أباض رحمه الله .

هذه هي أوطان المذهب الأباضي في الأصل ، ثم استوطن أوطانا

أخرى بعد ذلك ، وإن كان تخلى عن أوطان عديدة لسوء أحاط به
وبمعدات الأعداء له ، إذ أن الحق تكبره النفوس الطاغية غالباً وفي بلاد
من أختها بدل ، ومن الحال دوام الحال ، ثم ضرب المذهب أطنابه بعمان
والمغرب ، وأرسى دعائمه منذ ذلك العهد الأول حتى الآن ، لم تنزل
راياته خفاقة ومعاليه واضحة ومراكزه معروفة بأئمة علماء وملوك عظماء
طار صيتهم في العالم ، وقامت دولهم في العوالم ، ورفعت راياتهم على
الرءوس ، ونحرت أساطيلهم البحار ، وصارعت جيوشهم عدة أقطار ،
وخضعت لهم زعماء لا يزال التاريخ يحدث عنهم ، وما زالت علماء التاريخ
تتحدث فيهم ، فكان لهم بعمان أكثر من خمسة وثمانين إماماً ، وملكا
لهم أهميتهم ولهم ذكرهم العطر ، وفخرهم المستمر ، وقد خاضوا البحار
فانحين وجابوا الأقطار مصلحين ، ولهم في أرض الله أحاديث قد كتبت
بأحرف من النور خالدة خلود الجبال ، ثابتة بنصوصها لا تزال .

وحق الآن وسلطاننا الحال صاحب الخلافة قابوس بن سعيد الذي
تسلسل من ملوك معروفين ، وانتمى إلى أقبال غير منكورين ، وها هو
الآن ويده السلاح والمصباح ، وإليه منتهى أمر البلاد التي لا يزال علمه
عليها خفاقا ، وسيفه على رءوسها يراقا ، واسمه على تاجها يتلأأ بإشراقا ،
رفع معنيتها الدولية ، ورسم شرفها على الآفاق بعزيمته القوية ، وأطار
لها صيتا في العالم الدولى حتى منتهى الخلف والحافر ، وأصبحت معروفة
رغم الدهر ، وإليها تنظر أعين الدول .النظر الشرز ، فأكرم به سلطانا
على كرسي عريق مجدا وسوددا ، وأعزز به همما مهاجما تقدره الأعداء ،
ومن يمن الطالع لعمان وجوده بها ، ومن حسن الحظ اهتمامه بحقوقها أيده
الله وحى به الوطن والدين على رغم القوم الكافرين .

وهنا نريد أن نستعرض شيئا من خطب أبى حمزة الشارى المختار
ابن عوف رحمه الله ورضى عنه أتى خطب بها في مكة لما دخلها فاتحاً لها ،
ودخل المدينة المنورة كذلك ، ونعلق عليها ما يوضح معانيها ويبرهن عن

مقاصدها، ليعلم الناس مقاصد الأباضية ونوايا زعمائها على نراهم وحسن نواياهم ، ويقابل بها العاقل بين أعمال الآخرين الذين تولوا هذه البلاد قبلهم وبعدهم ، ولينظر الفارق بين الأفعال يجد أعمال الأباضية ناصعة في النزاهة ملازمة لمقتضى الكتاب والسنة ، تابعة لآثار السلف الصالح ، غير راضية عن أعمال الذين فعلوا ما شاءوا تبعاً لهواهم ، متغترسة في أوجه الأمة ، وهناك يعلم المفسد من المصلح وبضدها تبيين الأشياء . وبالحق تقوم حجة الحق وبها يكون له مقام عند الله عز وجل ، وبها أيضاً يؤخذ الله عباده .

وقبل إيراد المقصود نذكر كلمة وجيزة عن صاحب الخطب المشار إليها فنقول : إن المختار بن عوف رضى الله عنه ، كان من أهل عمان من الباطنة من خصوص قرية مجز يكسر الميم وفتح الجيم بعدها زاي معجمة من أعمال صحار ، وكنيته أبو حمزة فأكرم بهذه الكنية التي يتبادر منها معنى حمزة أسد الله ، وعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، سيد الشهداء ؛ ولقب أبا حمزة المعروف به عند الخاص والعام الشافع شيوخاً عاماً ، الشارى . وأكرم بهذا اللقب الذى يعرب عن معنى لا يليق إلا بخيرة الرجال والسادة الأبطال من أمثاله .

نسب أبي حمزة رضى الله عنه

هو المختار بن عوف :

كان المذكور من أهل قرية مجز كما قدمنا ، وانتقل إلى البصرة لطلب العلم من السيد الضرير أبي عبيدة العلامة النحرير ، وعاش فيها عهداً حتى إذا آن أوان إمامة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندى رحمه الله ، أرسله أبو عبيدة مدداً لطالب الحق في ثلاثمائة رجل من أباضية البصرة أيام كانت البصرة أباضية مذهباً وعمانية سياسة ، وإلى هذا العهد يشير الإمام السالمى رحمه الله تعالى حيث يقول :

كان لنا عصر العلوم مشرقاً وبأفوله بدا من فسقا
فخرج المختار بن عوف المذكور إلى أرض النين في الجماعة الذين
صحابوه ، فبويع الإمام طالب الحق في سنة ١٢٨ في بعض النقل ، وكان
أبو حمزة الشارى أحد أركان دولة هذا الإمام ، ولذلك أرسله لفتح
الحرمين الشريفين إذ أفسد فيهما البغاة وعاث فيهما العتاة من الأمويين
وولاهم وجنودهم الذين مشوا على جسر من البغى وصراط من الظلم ،
وعلم العالم الإسلامى عنهم ، فأخذت غيرة الإيمان من قلب هذه العصاة
مأخذها ، فخرج أبو حمزة إلى مكة في كتيبته التي لا تتجاوز أربعمائة رجل
من خيار المسلمين ، وجاء مكة فهرب منها وإليها فتولى أمرها أبو حمزة
وأصحابه رحمهم الله ، وأحسنوا السيرة وحملوا الناس على الجادة
الواضحة التي خلفها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأقام منار الدين
على نهج سيد المرسلين ، وأحسن معاملة أهلها ولم يحك عنه التاريخ

سوء واحدة مما يحكيه عن غيره ممن عاثوا في بلاد الله ، ولم يسلكوا
سبيل الحق .

وهنا خطب أبو سبرة رحمه الله خطبته التي أعرب بها عن مقاصده
وأشار فيها إلى السيرة الصالحة ، وحرص الناس إلى الحق فقال :

بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم فصلى
عليه ، ثم قال كما روى ابن عبد ربه في العقد الفريد في الجزء الرابع
منه طبعة القاهرة المعروفة بالاستقامة سنة ١٣٥٩ صحيفة ٢٢٧ ، خطب
أبو حمزة الشاربي بمكة ، صعد المنبر متوكئاً على قوس عربية فخطب
خطبة طويلة ، ترك ابن عبد ربه أكثرها بل مهمها ، وذكر منها
آخرها ، وفيها ذكر منها غيبة عما ترك ، لأن من لم ينفعه قليل الحكمة
ضره كثيرها .

ولم يذكر ابن عبد ربه من خطب أبي حمزة إلا ما أقام الله به الحجة
عليه ، وعلى أمثاله الذين من شأنهم كتمان الحق والميل إلى الباطل الذي
يقوله غير الأباضية ، فإن الحق إذا قاله الأباضية لم يدخل في الأذهان
ولذلك تراه يعلن أبا حمزة حين نزل على أهل الباطل وأنب أهل الفساد
وأعرب عن الحق ، ولكن أبي الله إلا أن يخلد الحق خلود الجبال ،
ويمحق الباطل والفساد على كل حال .

قال أبو حمزة ، رضى الله عنه ردأ على أهل مكة واحتجاجاً عليهم :
يا أهل مكة تعبرونني بأصحابي ترعون أهم شباب والله مكتهلون في
شبابهم ، أى أعمالهم أعمال المكتهلين نظراً إلى حديث خير شبابكم المشبهون

بشيء وحكم وشركم شيئا وحكم المشبهون بشبابكم ، وكان أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام أكثرهم شباباً .

قال : عمية عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم ، أى لا يعرفون أعينهم إلى ما حرم الله رؤيته من سائر الحرم ، مقهورة أرجلهم عن المشي إلى الباطل ، أى لا يعملون ولا يرضونه . قال : نظر الله إليهم في آناء الليل متنبية أصلابهم بمثنى القرآن ، يصفهم بالعبادة وهكذا كانوا رحمهم الله .

قال : إذا مر أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مر بآية فيها ذكر النار شفق شفقة كأن زفير جهنم في أذنيه ، أى أنهم تجردوا لعبادة الله طلباً لما عنده ، ورغبة في الجنة ونعم الرغبة ونعم الراغب ونعم المرغوب فيه ، وإذا ذكرروا النار اهتزت مشاعرهم وأشفقوا مما يسوق إليها أو يقرب منها ، ويوقع فيها ومن خاف أشفق ومن أشفق احترق ، ﴿وإنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وأن الأمر جلل فوق الطاقة من الناجيتين .

قال : وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم ، وصفهم بأنهم قوام الليل صوام النهار ، وطوبى لقوم يعيشون على هذه الحال ، مع أن غيرهم يعيش بالليل مع المغنيات والراقصات ، وفي النهار مع أهل الباطل ، وإذا جاء يوم القيامة جاء مفلساً من الخير ، مائلاً عينته من السوء .

قال : أنضاء عبادة قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وأرجلهم يصفهم بكثرة الركوع والسجود حتى أثر ذلك على الجوارح التي من

شأنها هذا العمل ، يصفهم بكثرة العبادة كما وصفوا عبد الله بن وهب بكثرة العبادة ، فقالوا ذو الثغفات ، وهى للبعير إذ يتأثر فيها بالبروك والقيام ، رحمهم الله ورضى عنهم .

قال : مصفرة ألوانهم ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، أى لا يزالون صُوماً قواماً حتى أثر ذلك على أبدانهم ، فلم ينعموا بحياتهم كغيرهم ، لأن قلوبهم تغلى بحرارة فتحترق من خوف الله عز وجل ، وليس هذا بمديح مجتلب ، بل هى حكاية الواقع ، فكان لهم دوى بالقرآن كدوى النحل على المحاريب .

قال : مستقلون لذلك فى جنب الله ، أى يرون ذلك قليلاً فى حق الله عز وجل على ما وعدهم به جل شأنه . قال : موفون بعهد الله ، أى ثابتون عليه والمراد بالعهد هنا الإسلام أو العهد الذى أخذه الله على عباده فى عالم الذر . قال منجزون لوعده الله أى موفون بما وعد الله أهل ساعته لم يفتروا برياش الدنيا . قال : حتى إذا رأوا سهام العدو قد فُوتت ورماحهم قد أشرعت وسيوفهم قد انتضيت وأبرقت الكتيبة وأرعدت بصواعق الموت ، استهانوا بوعيد الكتيبة أو عيد الله ، أى لما رأوا العدو المناوئ لهم ، القائم على بغيه فى الأمة الذى لا يبارى بقتال المؤمنين ولا يقتلهم ، وتجهز للزحف عليهم ، ورأوا لوائح الموت تلوح لهم ، ومصابه تحل قريباً من دارهم ، طالبة لهم ومعادية ، وأرعدت الكتيبة أى زجرت كما هى العادة ، ونغممة الحرب وحممة رجائها ، وذلك كناية عن تقدمها للقتال وسحبها للميدان أبطال الرجال ، لم يروا إلا ملاقاتها ولم يرضوا إلا مصادمتها امتثالاً لأمر الله وطلباً لمرضاته ، لا لحظ دنوى برومونه أو الملك يحاولونه ، وإنما جل مرادهم بذلك

النموس رخيصة في طاعة الله ، فإن الجهاد في سبيله من أعظم القرب عنده .

ولذلك لم يروا إلا الهاوى للميدان كما تهوى النجوم من السماء ، ولما سمعوا رعد الكتيبة ورأوا برقها وعابنوا مصارع الأبطال وترجل الموت ، وهى صرخات الأبطال لقاتل أو مقتول ، استهأنوا بما سمعوا وهشروا رأوا واستقبلوا الكتيبة غير مباليين بما يلاقون ، ورأوا وعيد الكتيبة بالقتال أهون من وعيد الله على من فر إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فإن وعيد الله له بغضه أعظم من وعيد الكتيبة ، وعيد العدو أو القاعد على فراشه غير راغب في نصره الحق على الباطل .

قال : فضئ الشاب منهم قُدماً حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، أى مضى متجرداً بعزم غير راهب ولا مرتاع حتى يسقط عن فرسه قتيلاً في سبيل الله . قال : قد زملت محاسن وجهه بالدماء وعُفِّر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء ، والمعنى غشى الدم وجهه وغفره التراب عند اقتحام فرسه أو عند سقوطه قتيلاً ، وترك في التراب حتى لا دافن له ، فأضحى فريسة للسباع وطعمة لطير السماء من العقبان والنسور والرخم بعدما كان عزيزاً مصوناً تنحاهم الرجال ، ولا ريب فإن الجود بالنفس أقصى غاية الجود . قال : فكلم من مقلّة في منقار طائر طال ما بكى صاحبها من خشية الله ، وكلم من كف بانت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده ، وكلم من خد عتيق وخين رقيق قد فُأيق بعمد الحديد .

قلت في هذه الجمل من الأسى على المؤمنين الصالحين الذين يقتلهم الظلمة والفسقة بغير حق ولا موجب إلا البغى والدوان ، وبالعين تبكى على محرابها من خشية الله ، ثم يأخذها الطائر بعد قتل صاحبها في سبيل

الله ، إنها لغاية مع الله ولا ترى النار عنده ، ويا الرجل طالما بات صاحبها معتمداً عليها ، قائماً يصلى فى جوف الله ، ثم يبدلها صاحبها فترضى بالكسر والنقطع من أعداء الله ، وبالجهنم نير يتلأأ نوراً ، وخذ يلمع بالبشر سروراً ، تنحط عليه سباع الطير تأكله لا تعرف له قيمة ولا تدري له ثمناً ، ولو علمت لبكت عليه دماً .

قال : رحمة الله على تلك الأبدان وأدخل أرواحها فى الجنان ، هذا مصباح ولايته رحمه الله لها ، وبرهان حبه لأهلها ، ثم قال : الناس منا ونحن منهم إلا عابد وثن أو كفرة أهل الكتاب أو إماماً جائراً أو شاداً على عضده ، أى كلنا لآدم وهو الجامعة الكلية ، وكلنا أولياء لبعضنا بعضاً ، لأن أصل الفطرة جامع بيننا لم تختلف فى هذا ، وإنما اختلفنا فى العمل ، فعابد وثن والكافر من أهل الكتاب ، والإمام الجائر والشاد لعضده بالمنصرة له ، فهو لاء أعداؤنا فى الدين نبرأ إلى الله منهم ، وندعو الله أن ينصرنا عليهم ، وهو خير الناصرين . اه آخر خطبة البطل الشارى رحمه الله ورضى عنه وهذه هى وجهة أهل الله ، والله الموفق لمسا مجبه ويرضاه .

ولما فرغ من مكه المكرمة توجه للمدينة المنورة فاحتلها ، ولا تريد أن نتكلم هنا عن صفة احتلاله وما لاقاه من مصائب ، وما كان له من عمل ، فإن ذلك إلى التاريخ ونحن هنا نريد أن نذكر خطب أبى حمزة البطل الشارى رحمه الله ليسمع كل ذى قلب ألقى السمع وهو شهيد ، فإذن لسان المرء ترجمان عقله ، وإن ما انطوى عليه تعبر عنه اللسان .

قال الإمام مالك^(١) : خطبنا أبو حمزة خطبة حيرت المبصر ورددت المرتاب ، وأراد بالبصير نفسه والمرتاب هو الشاك في دين أبي حمزة ونواياه وعقيدته ، كما أن اعتقاد الناس فيه أنه خارجي عملاً بما رموا به هذه الشبهة النزيهة الطاهرة (١) ولما سمع مالك المذكور كلام أبي حمزة وما يدعو إليه وما يشير عليه في مسلكه هذا ، وسمع الحجج التي يلقها أبو حمزة يقرع بها الباطل ويؤيد بها الحق بقي حائراً مرتاباً فيما هو عليه ، ولذلك قال : حيرت المبصر أى بقي المبصر في نفسه الذى يرى أنه على بصيرة من الأمر حائراً ، فإن الحجج التي جاء بها أبو حمزة كشفت النقاب ، وأوضحت الارتباب ونفت عن الحق الغيم الذى غطى على قلوب كثير من الناس .

وقوله : ورددت المرتاب أى رجع الذى في قلبه ويب إلى الحقائق التي جاء بها أبو حمزة رضى الله عنه ، وعلى أثر ما قال مالك بن أنس ، قال الإمام السالمى رحمه الله : ليته ترك الحيرة وأخذ بالبصيرة ، ولكن من يهدى الله فلا مضل ، ومن يضلل فلا هادى له ..

أما صاحب العقد وهو مالكي قال : قال مالك بن أنس رحمه الله : خطبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المبصر ورددت المرتاب ، ومعنى شك فيها المبصر ، أى أن المبصر في نفسه لم يدر ما هو عليه عند سماع ما جاء به أبو حمزة بدليل قوله : ورددت المرتاب ، أى أن المرتاب في مذهب أبي حمزة هل هو الحق أم الحق في غيره رجع إلى مذهب أبي حمزة

✓ (١) وقيل إن المرتاب في دينه الشاك في مذهبه رجع إلى مذهب أبي حمزة حين انتفع له الحق .

بعد ما زال عنه الريب^١ ، وعرف أن الحق معه ، ولا يخفى أن للحق
 نوراً يوضح الطريق ويرشد الرقيق^٢ ، وبين المضيق ويهدى الصديق إلى
 أقوم طريق^٣ ،

قال صاحب العقد وهو من أعداء أبي حمزة بدليل لعنه له ، ولكن
 لا يضر أبا حمزة وأصحابه ذلك ، أما هؤلاء فقد لعنوا على بن أبي طالب
 على المنابر لما أمرهم معاوية بن أبي سفيان ، فكيف لا يلعنون أبا حمزة
 وأصحابه ، وبهذا يتميز الأباضية عن غيرهم فإنهم لا يرضون عن المبطل
 أيا كان ولا يتأون عن الحق من كان وأين كان . قال بعد أن حمد الله
 وأثنى عليه وذكر النبي صلى عليه : أوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل
 بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وصلة الرحم وتعظيم
 ما صغرت الجبايرة من حق الله ، وتصغير ما عظمت من الباطل وإماتة
 ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أمانوا من الحقوق ، وأن يطاع الله
 ويعصى العباد في طاعة الله . هذه جمل تسع أوصى بها مقدمة في خطبته
 كل واحدة منهن تشتمل على أنواع يستدعى ذكرها مقاما واسعا وفراغا
 طويلا ، فإن تقوى الله جامعة كلية تشتمل على أصول الدين وفروعه ،
 ويدخل فيها كل أوامر الله عز وجل ما دق منها وما جل مما حرم الله
 وما أحل ، ومن التقوى جهاد البغاة وإقامة منار العدل ، وحمل الناس
 على العمل بأركان الدين ، والقيام بحقوق الأمة على اختلاف أوضاعها
 وتباين طباعها ، والعمل بالكتاب والسنة من جملة التقوى .

ولاشك أن العمل بكتاب الله يتناول أمور الدنيا والآخرة ومن عمل
 بكتاب الله فقد جمع كل فرض الله ، وكان عند الله بمنزلة تلحقه

بالشهداء والصالحين ، وترفعه درجة مع النبيين ولا مقام أعلى من العمل بكتاب الله ، وأين من يعمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .
ولا شك أن خير ما رضى به المسلم أخاه تقوى الله والعمل بكتابه وما بعدهما وصية مهما كانت ، وصلة الرحم طال ما حض الله عليها ودعا عباده إليها ، وفيها من الفضائل ما لا يحصى ، ومن الحكم الإلهية ما يطول ذكره ، وفي تعظيم ما صغرت الجبابة وتصغير ما عظمت إحياء للحق وإماتة للظلم ، فإن الجبابة تعظم وتصغر بهوى أنفسها ، والشرع عنها في معزل إذ تدعى الشطارة والدراية وحسن الرأى وصادق الخبرة فيما يناسب الأوضاع العقالية ، وأين العقل من بواهر الشرع الذى أنزله الله عز وجل على أنبيائه دستوراً سماوياً وقانوناً إلهياً ، وأن مدارك البشر من واضع القضاء والقدر ، ولا يخفى أن طاعة الله تتجلى فى طاعة أنبيائه وفى اتباع ما جاء فى كتابه ، فإمر الله به وجب وما نهى عنه من المفروض أن يجتنب ، وما سكت عنه فالأهل العالم فيه النظر المرتقب ، فإن حكمة الله تكون على أحوال فتكون حيناً نصاً مفروضاً ، وحيناً نصاً اختيارياً ، وأنا يسع تركها والأخذ بها ، وكل ذلك من فضله ومنته ، وأن يعصى العباد لأجل طاعة الله ، فطاعته تعالى مقدمة على طاعة العباد ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر العبد .

وقال : فالطاعة لله ولأهل طاعة الله ، فإن من أطاع الله أطاع أهل طاعته وعصى أهل معصيته ، فال مؤمنون هم أهل طاعة الله ، والكافرون والظالمون والفاسقون هم أهل معصية الله عز وعلا . قال : ولا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق ، والمعنى إذا أمر المخلوق بأمر هو مخالف لطاعة الله عز وجل ، مخالف لما أمر الله به ، فلا يصح أن يطاع فيه (١٠م - طلاقات)

الآمر به ، إذ ليس للمخلوق في الأصل طاعة ، وإن الطاعة لأهل طاعته ؛ طاعة له . فاطيعون للنبيين أو لأئمة المسلمين مطيعون لله الذي أوجب طاعتهم من حيث كونهم على طاعته جل شأنه . قال : يدعو إلى كتاب الله . قلت نعم المدعو إليه فإنه الحجة بل هو الرحمة التي أنزلها الله مخفورة بملائكته الكرام ، وكذلك الدعوة إلى سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ هما حمة وسداة ، أو قل هما جسد وروح ، ولا يقوم أحدهما بدون الآخر ، فإن الكتاب جاء بالإجمال ، وجاءت السنة بالتفصيل .

وقوله والقسم بالسوية ، المراد به المساواة بين المسلمين في الأمور غير الاختصاصية ، « فإن المسلمين يد واحدة تنكفأ دماؤهم » الحديث . وقوله : والعدل في الرعي لاربي أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى^(٤) ، وقوله : ووضع الأخماس في مواضعها ، أى (للسول ولذى القربى) الآية . وهذه هي مواضعها التي أمر الله أن توضع فيها .

وأبو حمزة رحمه الله هكذا لا يريد أن يكون في المسلمين في يد الفسقة ، وبيت ما لهم في أيدي الظلمة ، ومصالحهم الدينية والدينية في يد بغاة الأمة وطواغيتهم للقيينات والمغنيات والراقصات . قال : إنا والله ما خرجنا أشرأ ولا بطراً ، ولا لهواً ولا لعباً ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيها ، يقسم أبو حمزة رحمه الله على ما خرجوا له قسماً عظيماً أن خروجهم إنما كان لله ، وفي الله وفي طاعة الله ، والأشر والبطر أمران حرمهما الله في الدين ، وأوجب عليهما عقابه لمن جاء بشيء منهما ، لأنها من صفات الفساد في الدين .

قال : ولا لثأر قد نبيل منا أى لنا ثأر عند أحد من الناس ، نريد أن نؤاخذه ولم ينل أجد منا ما ليس إله فإننا أكفء لقومنا نقبل الحق ونأمر به ، ونرد الباطل وننفر منه ، ثم قال ولكننا لما رأينا الأرض قد أظلمت ومعالم الجور

قد ظهرت وكثر الادعاء في الدين، وعميل بالهوى ، وعظمت الأحكام .
وقتل القائم بالقسط ، وعذب القاتل بالحق سمعنا منادياً ينادى إلى الحق ،
وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعي الله فأقبلنا من قبائل شتى قطين
مستضعفين في الأرض ، فأوانا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ،
وعلى الدين أعوانا .

يقول أبو حمزة رحمه الله : إن الأرض أظلمت ، يعنى بالخور
والظلم الذى انتشر بها والفوضى التى عمت أرجاءها ، وعدم الرادع لأهل
الفساد فيها ، ورأينا معالم الخور قد ظهرت ، وعدم الإنصاف من الباغى ،
وعدم القائم بالحق ، وانطمست معالم الهدى ، وفتحت أبواب الفساد في
الأرض ، وكثر الادعاء للزعامات والمنافسات كبراً وبطراً ورتاء الناس
كل يقول : أنا أحق بالأمر ، وأنا ابن الخليفة الفلانى ، وحفيد الأمير
الفلانى ، وابن العالم الفلانى ، وكل تلك الادعاءات لا يراد منها شئ لله ،
وإنما يراد منها التسلط على عباد الله ، ولأكل الدنيا بالدين ، وعمل بغير الحق
الذى أنزله الله واتبع الهوى ، وترك الحق وخذل أهله ، وعظمت أحكام الله
التي أنزلها في كتابه والتي أعلنها في خطابه والتي قام بها النبي عليه الصلاة والسلام
في عهده ، ودعا للعمل بها من بعده ، وعند ذلك من تكلم بحق زجر ، ومن
دعا إلى حق قتل ، ومن ناصر الحق أهين ، ومن أظهر الحق فقد وقع في
الخطر ، وعند ذلك سمعنا داعي الله ينادينا ، وزواجر الكتاب والسنة تنهى
ذلك إيانا ، والقرآن بين أيدينا يقول : (فاستجبوا لربكم من قبل أن
يأتى يوم لا مرد له من الله)^(١) ، (فاستقم كما أمرت)^(٢) ، (ادع إلى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)^(٣) ، (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء
ذى القربى)^(٤) ، ونحوها من الآيات البينات ، فأقبلنا من قبائل شتى ؛

ومن شعوب تخاف الله أن ينتقم منها ، قليدين مستضعفين تفتحننا العيون ،
وتنبو عنا الظنون ، فأوانا الله في كنفه ، وأعزنا في أرضه ، وأيدنا بنصره ،
لا يحول منا ولا بقوة ، فأصبحنا والحال أنا مؤمنون بالله ، مطيعون
لأوامره خاضعون لحكمه ، لا نرى غير ما يرى لنا ربنا ، وأعاننا على
أمر ديننا ودينانا ، وهذا من أكبر نعم الله علينا وهذا من شكره عز
وجل ، كما يعلم أن الاعتراف بفضل الله شكر له عز وعلا .

ثم قال : يا أهل المدينة أولكم خير أول وآخركم شر آخر ،
يعنى أولكم من آوى الدين واحتضن سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه
 وآله وسلم ، وجاهد بالمال والحال ، وشارك في جميع الأعمال الخيرية ،
ونجرت انصرة الحق حتى أتى مدحهم في كتاب الله نصاً يتلى طيلة الدهر ،
وآخركم أنتم الذين ركبكم البغى ، وانتشر بينكم فساد بنى أمية ، ولا تنكرونه
ولا تتبرمون منه ، وتطيعون الفسقة أهل الخمر والزمر والملاهي ،
وهذا مما يحط من قدركم ويغض من شرفكم ، فإن الشرف في الإسلام
بالطاعة والعزة بالتقوى ، لا باتباع الأهواء .

قال : إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم^١ عن كتاب غير ذى
عوج بتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ، فأصبحتم عن الحق ناكبين
أموئاً غير أحياء ، ولكن لا تشعرون ، أراد رحمه الله بهذا الكلام تحميمهم ،
ولكن لا حياة لمن تنادى ، والمعنى ظهر فيكم قوم تبعوا أهواءهم وركبوا
عشوائهم . فأصبحوا يتقادون لأهل الباطل جاروا أم عادلوا ، وقد رأى
منهم ما لا يرضى في الدين ، وعلم من أحوالهم سوءاً لا يليق حتى في
المروءة ، فإنه سيذكر ما رأى وسمع من التلوم تصريحاً وتلويحاً ، ومن

حيث إن القوم هم ذرارى أولئك السادة الأفاضل الذين هم أشهر من نار على علم في الإسلام .

أسف أبو حمزة على ما رأى منهم من سوء قال : يا أهل المدينة يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ما أصبح أصلكم وأسقم فرعكم ، كان آباؤكم أهل اليقين وأهل المعرفة بالدين والبصائر النافذة والقلوب الواعية ، عاتبهم بهذا العتاب اللاهب حماساً ، وأنبهم على ما رأى منهم من العداء السافر ، ورضوخهم تحت أقدام الباطل ورضاهم بما لا يحل به الرضا في الدين ، فشكر آباءهم وثنى عليهم وأنب الخلف على مخالفتهم لسيرة السلف الصالح الذين وصفهم بأنهم خير أول وأنهم أبناء المهاجرين والأنصار الذين كانوا معالم الهدى وأركان الشريعة وأعمدة التقوى ، وأنكم ترضون بما لم يرض ببعضه سلفكم الصالح ، وأشار إلى ما وقع من هؤلاء الذين يتهافون تحت أقدامهم على ما هم عليه من الضلال والفساد ، فقد استباحوا الحرم وفعلوا كل محرم وأهانوا أهل العلم وفعلوا ما لم يقبله أهل الإيمان ، ولا يرضاه أهل الدم الحر ، فضلاً عن أهل الإيمان والتقوى .

قال : وأنتم أهل الضلالة والجهالة استعبدتكم الدنيا فأذلّتكم ، أى أصبحتم لا تنظرون إلا إلى الدنيا ورياشها وزخارفها والنظر إلى الدنيا يصرف النفوس عن الآخرة ، ويعمى القلوب عنها ، وبقدر اشتغاله بالدنيا يكون انحرافه عن الآخرة إذ هما ضرطان . قال : والأمانى فأضلّتكم ، أى استعبدتكم الأمانى المهرجة . قال : الله عز وجل (ويلهمهم الأمل)^(١) إن الأمانى حبايل الشيطان ومصايد ، بها يصطاد من أراد فيزخر فيها لهم ويرينها في نفوسهم ، وحب الدنيا والالتفات إليها ينسى الآخرة وأعمالها ، وفي ذلك الضلال المردى والربال المهلك والعياذ بالله .

قال : فتح الله لكم باب الدين فسدنموه ، وأغلق باب الدنيا ففتحتموه . والمعنى أن الله جعل المدينة باب الدين منها يدخل عليه ليكون رسول الله عليه الصلاة والسلام فيها حيا وميتا وهى مدينة العلم ، وبموته كانت طيبة دار هجرته ، فيها رجال العلم قد ضربوا سرادقهم ، المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ، وهم أعمدة باب العلم ، وبأيديهم مفاتيحه ؛ ولما جاء الخلف فى مسرح اللهب هذه الدنيا انسد باب العلم مغلقا على رجسالة الأوفياء وأئمة الأتقياء .

قال : سراع إلى الفتنة ، بطاء عن السنة ، عمى عن البرهان ، صم عن العرفان ، عبيد الطمع خلفاء الخزع ، ومعنى سرعتهم إلى الفتنة انقيادهم لمن جاء مضادا للحق ، وكان واجبههم وهم أبناء الأنصار والمهاجرين مناصرة الحق وتأييد الحق ، كان من أقاربهم أو من أباعدهم ، وإذا بهم على خلاف ذلك ، فإن أبا حمزة جاء للحق وهو يعرض على أصابعه ندما . لأفعال أهل الباطل ، لا يريد ملكا ولا يريد التسلط على عباد الله ، إنما خرج ردءا للحق ونصرة للمظلوم ، وقد علم حال الأباضية من أول يوم من أيامهم ، وإذا بأهل المدينة يتقدمون لقتالهم خلف لأهل الزيف عن الحق وراء أهل التضلال والفساد الذين كانوا على أيديهم انتهاك حرمهم وفض أبكارهم وأخذ أموالهم ولكن لقد صح القائل :

من يهن يسهل الهوان عليه ما بالخرح بميت ليلام

وقد ألّف القوم الخنوع والخضوع ، وانقادت نعرتهم للزعامة الجائرة عملا بأنهم منهم ولايهم . أما حمزة وهو العماني اليماني لا يحق إلا قتاله وطرده والنقض عليه ، وقد سمعوا عنه فى فتح مكة وتبينوا حقيقة أعماله الزاكية وخصائه الحميدة ، وشاع عدله وعرف فضله ، والحق

أحق أن يتبع ، والمسلم لا يكون مسلماً بمعنى الكلمة إلا إذا كان على منهج الشارع الكريم ، وليس يخفى الحق على أحد أبداً وكونهم (١) عن السنة هي أن السنة في الإسلام قتال الباغي وردع (٢) . . . والقيام في وجه المجرم الذي لا يبالى بما يأتي ويذر ، وقوله : عني عن البرهان ذلك أن الله يقول : (فقاتلوا التي تبغى حتى تنفيء إلى أمر الله)^(٣) ، (قاتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)^(٤) ، (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة)^(٥) ، (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً)^(٦)

ومن هم الكفار هم الكافرون شركاً وبغاة الأمة كفار نعمة ، والكل عصاة لله خارجون على أحكامه ، فإن الكفار استحقوا العذاب بعصيانهم لهم وتمردهم على أوامره ، وإن كان الفارق بين الكفر شركاً والكافر عصيانياً معروف ، وإذا لم يتب العاصي من عصيانه كالكافر إذا لم يتب من كفره فإن تاب الصنفان قبل الله منهما ، وإن أصرا على عصيانهما هلكا بإصرارهما ، (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)^(٧) وقوله : صم عن العرفان أى لا يصفون للحق ولا يقبلونه ، أصم عن الشيء الذى لا أريده وأسمع خلق الله لما أريد ، قال عبيد الطمع حلفاء الخزع ، أى إنكم تهافتون إلى الطمع وتنافسون فيه ، وإما تقطع أعناق الرجال المطامع ، ومن استهواه الطمع ذل لأنه لا يطمع إلا ليجمع ولا يجمع إلا إذا خضع [لما جمع ، ولا شك أن من جمع رغب أن يكون مع ما جمع ، فلذلك يذل ويخضع ، وبذلك أيضا يكونون عبيد الطمع حلفاء الخزع ، فجعل

ما عندهم جمع الرياش وزخرفة القماش ، وفي الحكمة المأثورة : من طمع ذل ، وهو واضح .

قال : نعم ما ورثكم آباؤكم أى أن آباءكم اكتسبوا التقوى ورفضوا الأهواء ، وثبتوا على الحق وناصروا أهله ورفضوا الباطل ، ومن جاء به حتى قاتلوا آباءهم عن الحق وتباعدوا عن إخوانهم حين لم يستقيموا . قال وبشس ما تورثون أبناءكم ، أى الأبناء الكرام يتبعون آباءهم عادة لاسيا في الخصال السامية والمعارف العالية والمقاصد الحميدة :

بأبه اقتدى عدى في الكرم : ومن يشابه أبه فما ظلم وإذا كان الأمر كذلك وأنتم على هذا الحال فستورثون أبناءكم أسوأ لخصال ، إذا تبعوكم على ما أنتم عليه ، وبالأأسف إذا تبع الأبناء الأحوال المسترذلة التي لا تسوق إلا إلى أدنى الأمور ، فإن الله يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها ، وأعمال المسلمين الأولين لا مزيد عليها ، وقد أعجزت من جاء بعدهم وأتعبت من رام اللحاق بركبهم ، وأين الثريا من يد المتناول . قال : إن تمسكوا به أى إن التمسك بما ذكر قبيح مستقيح ، وبشس الصنيع ، قال : نصر الله آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل ، أى أن الحق أحق أن يتبع ، وما بعد الحق إلا الضلال ، كان السلف على الحق الصريح والدين الصحيح ، ثم صار الخلف على خلاف ذلك ، ولذلك ركنوا إلى الظلمة الذين جعلوا الخلافة قيسرية أو كسروية بعد ما كانت محمدية صديقية ، ولا ريب أن الإسلام دين الله ، والظلم والجبروت دين الشيطان .

قال : نصر الله آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل ، كان عدد آباءكم قليلا طيبا ، وعددكم كثير خبيث ، قلت لقد مدح الله القليل في عدة

أحوال ومناسبات كثيرة ولا يزال القليل بطبيعة الحال ممدوحاً (إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره^{١١}) (إلا الذين آمنوا وقليل ما هم^{١٢}) ، (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون^{١٣}) (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً^{١٤}) ، (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله^{١٥}) ، وهذا شأن الله عز وجل في تأييد القليل ، ولا شك أن الحبيث ولو كثرت إثمته هو كالزبد يذهب جفاء ، ولو أعجبنا كثرة الحبيث .

قال : فاتبعهم الهوى فأرداكم واليهو فأسهاكم ، ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزجرون ، وتعتبركم فلا تعتبرن ، لا شك أن من اتبع الله أفلس عند الله ولو كان أغنى الأغنياء ، فإن الله فساد في الدين ، وقد ذم الله تعالى الله في كسبه المنزلة ، وعلى ألسنة أنبيائه المرسلات في عدة مقامات ، ونهى النفس عن الهوى ، وقد أكثر العلماء والشعراء من ذم الله لما فيه من فساد ، وما يترتب عليه من سقوط الدين وانهيار صروحه ، نعوذ بالله منه ، ولقد وعظ الله عباده بمواعظ تنصدع لها الصخور ، وتذوب لها الشعور ، وتنفطر لها الأكباد والصدور ، وما يعقلها إلا العالمون .

بهذه الأحوال يؤنب أبو حمزة أبناء المهاجرين والأنصار ، ويلهب ضمائرهم ويحمي حفاظهم بحرارة الإيمان ، ويحرك هواجسهم بنفقات الكلام ، فإنه يثير العواطف الحية ، ولكن لا حياة لمن تنادى ، وكما يقال : لمن تقرأ زبورك يادود . ثم احتج عليهم بقوله : سألناكم عن ولائكم هؤلاء فقلتم والله ما فيهم الذي يعلم ؛ والمعنى هذا مقالكم فيهم وماذا عسى أن يفعل الجاهل والذي لا يعلم يجب أن يتدى بمن يعلم : وذلك أمر مفروض من الله (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون^{١٦}) ؟ (فاسألوا^{١٧} أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون^{١٨}) في آيات .

ومن جملة مقامهم فيهم ما حكاها البطل الشاربي عنهم بقوله : أخذوا المال من غير حياء فوضعوه في غير حقه ، قلت هذا من أكبر الكبائر في الدين ، قال : وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله ، قلت هذا أكبر من الأولى لأن من حكم بغير ما أنزل الله سباه الله في الآية الأولى كافراً^١ ، وفي الآية الثانية سباه الله ظالماً^٢ ، وفي الآية الثالثة سباه فاسقاً^٣ ، فتراه جمع صفة الكفر والظلم والفسق ، وإنما لكبائر يهلك بها راجعها والعياذ بالله . قال حاكياً عنهم مما قالوه عنهم : واستأثروا بفيثنا فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمتنا وحقوقنا في مهور النساء وفروج الإماء ، أى ظلمونا حقوقنا التى شرعها الله لنا ومقاسمتنا من الفئء الذى ذكره الله في كتابه العزيز ، فكانوا ينفقونها في صدقات النساء فيهن ، ويتنافسون في شراء الإماء الغاليات الأثمان ، ويبدلون فيهن ما عز وما هان تبعاً لشهواتهم ، ولا يرون لنا حقاً ، بل الحق لهم والفئء إليهم ، وهذا كله حرام بنص القرآن الكريم وإجماع الأمة ، ولا يحتاج إلى ذكر ما دل على ذلك من النص ، فإنه واضح .

قال أبو حمزة رحمه الله ردّاً عليهم في هذا المقام الحرج الذى ظلوا يتبرمون منه ، ومن أعمال السادة الأمويين : وقلنا لكم تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا حقوقنا ، وظلموكم حقوقكم ، وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله ، فقلتم لا نقوى على ذلك ووددنا لو أصبنا من يكفيننا ، فقلنا نحن نكفيكم ، ثم الله راع علينا وعليكم ؛ إن ظفرنا لنعطين كل ذى حق حقه ، فجئنا فاتقيننا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم لنا دونهم فقائتمونا ؛ فأبعدكم الله ، والمعنى قمنا لله عز وجل ووطننا منكم أن نكون نحن وإياكم على هؤلاء الذين بدلوا أحكام الله

بأحكامهم ، وظلمونا نحن وإياكم حقوقنا ، فنكون يداً واحدة ولساناً واحداً ندعو إلى الله وإلى نصرة دينه الذى أضاعه هؤلاء الناس جهاراً وداسوا كرامته ، فقلتم لانتطيع ولا نقدر على ذلك نخشى صولة هؤلاء علينا ، ووددنا لو أصبنا من يكفيننا ، فقلنا لكم نحن نكفيكم شر هؤلاء العتاة إن ظفروا بهم لنعطين أهل الحقوق حقوقهم ، ولننصفن مظلومكم من ظالمه ، هذا الذى جئنا له لا نريد أن نكون ملوكا ، بل نريد أن نكون رعاة حق . ردعاة رشد وسعاة هدى ، والله يعلم حقائق مرادنا ، بل هو أعلم بنا منا ، فانقينا الرماح بصدورنا جهاداً في سبيل الله واعتماداً على الله ، واستقبلنا السيوف بوجوهنا في رضا الله وكنا في غنى عما لقينا وفي بلدنا عن هذه البلاد .

إلا أنها لما كانت مهبط وحى الله وموطن رسول الله وبلغنا ما يفعل فيها أعداء الله ، أخذتنا الغيرة لدين الله ، فجئنا من قبائل شتى متفرقين أنساباً ، مجتمعين أصحاباً ملتزمين أحباباً ، تجمعنا رابطة الدين وتلفنا على بعضنا بعضاً شمائل الإيمان ، وتجردنا لله تبارك وتعالى أنصاراً لدينه حماة لوطن الإسلام ، لالتأثر نبيل منا ، ولا الحاجة فدعونا للمجىء سوى مناصرة الحق ، والله ينصر من ينصر دينه ، فعرضتم لنا تقاتلونا بدلا من أن تقاتلوا معنا عدوكم وعدونا ، وهنا نزل عليهم ووبخهم واحتج عليهم بما لم يقدروا على إنكاره ، ولم يستطيعوا رده ، ولذلك استولت عليهم الحيرة التى أشار إليها إمامهم مالك بن أنس راوى الخطبة ، ثم قال : فوالله لو قاتم لانعرف ما نقول ولا نعلمه لكان أعذر مع أنه لا عذر للجاهل ، ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به فى الآخرة . والمعنى لو قاتم من أول وهلة لا نعرف ما نقول ولا نعلمه لكان لكم فى ظاهر الحال عذر بينى وبينكم ، لأن الجاهل إذا انقاد مع اعترافه بجوهره لكان له عذر

في ظاهر الحال ، لأنه لايساوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ، فإذن قتال
الباغى على الأمة قد لايدركه ضعفاء العقول ، ولقد عارض عمر بن الخطاب
رضى الله عنه أبا بكر في إرادة قتال مانعى الزكاة حتى أرشده الله وأبان له
وجه الحق الذى اعتمد عليه أبو بكر رضوان الله عليه ، وشرح الله صدرعمر
لذلك .

ولكن الحقيقة يعلمون بغى الباغى وحكم الله فيه ، ولكن القوم أهل
تقليد مذهبي ، فإن التقليد معهم مفروض إذ يعتقدون أن القوم هم أولياء
الله وأولوالأمر والخروج على أولياء الأمر لايجوز جاروا أم عدلوا ، ويعتبرن
أبا حمزة جاروا عليهم فيجعلون المحرم محققا والحق مجرما على قاعدة مذهبهم ،
ولذلك لما ثار أولئك على أبي حمزة رحمه الله ثار هؤلاء معهم وقتلوا أمامهم
وناصروا على أبي حمزة الشارى الذى باع نفسه وتجرد لرد أهل الظلم عن
ظلمهم ، وردع أهل الفساد عن فسادهم ، ويعتقدون ذلك ديننا .

ولاشك أن الله يعاقب من أعان الظالم على ظلمه ، بل يعاقب على خذلان
أهل الحق .

قال ابن عبد ربه : لما وصل الكلام إلى هذا المقام حاكيا عن
أبي حمزة الشارى بقوله : ثم قال الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة : حاكما
جاء بغير ما أنزل الله ، أو متبعا له أو راضيا بعمله ، ومعنى ذلك أن العنصر
البشرى في الأصل واحد قال الله عز وجل : (يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكروأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) ، ومن الناحية الدينية فالمسلمون
أولياء لبعضهم إلا من جار في الحكم إماما كان أو ملكا أو حكما بغير ما أنزل
الله أو كان متبعا لمن هذه صفته أو متبعا له في أعماله أو راضيا بها ، وهى
ضلال فإن الله حكم على أهل الضلال بالوبال .

قال ابن عبد ربه : أسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طعنه على الخلفاء فإنه طعن فيها على عثمان وعلى بن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز . قلت إذا كان أبو حمزة طعن على المذكورين فغير أبي حمزة قتلهم ، فإذا كان قتلهم ظلما فينبغي أن يلام القاتل أكثر من لوم القاتل ، فما بالكم تترضون عن القاتل وتبرئونه وتلومون القاتل وتلعنونه ، أهكذا يقول الحق ؟ أبهذا يقضى الإيمان ؟ أهذا من الإنصاف نعم والله بهذا ذهب الدين وما بقي إلا اسمه إنا لله وإننا إليه راجعون ، قوم يقتلون عثمان ، وقوم يلعنون عليا على المنابر ، وقوم يسمون الحسن ، وقوم يقتلون عليا ، وقوم يقولون لحولاء رضى الله عنهم ، أمثل هذا الحال يقوم الدين ؟ ! إنها مصائب تتحكم على أهواء الناس .

قال ابن عبد ربه : ولم يترك أى أبو حمزة من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وكفّر من بعدهما قلت لائلومه ، فإن أحدهما أبوه والآخر أخوه ، أما من عداهما فليس بينه وبينهم قرابة ، أو أنهم قتلوا أياه أو قتلوا قومه . قال ابن عبد ربه : فلعنة الله عليه . قلت لقد بليت نفسك يا ابن عبد ربه بلعن من لا نعلم هل يستحق الألعن أم لا ؟ فإن كان يستحق الألعن عند الله فأنت لعنته بغير علم ، لأن ما يعلمه الله لا تعلمه أنت ، والمسلم لا يكون طعنا ولا لعانا ، وإن كان عند الله لا يستحق الألعن فقد اقترفت بلية لا تقف بك إلا على جسر جهنم ، وكنت غنيا عن ذلك وفي سلامة منه ، ويكفيك أن تحكى عنه ما قال ، والله يعلم المفسد من المصلح .

قال ابن عبد ربه : إلا أنه ذكر من الخلفاء رجلا أصغى إلى الملامى والمعازف ، وأضاع أمر الرعية فقال : كان فلان بن فلان من عدد الخلفاء عندهم وهو مضيع للدين والدنيا ، اشترى له بردان بألف دينار اثتر بأحدهما وارتدى بالآخر ، أو قال والتحف بالآخر ، وأقعد حياكة عن يمينه وسلامة

عن يساره ، وقال باحجابه غنيي وباسلامه اسقيني ، فلذا امتأ سكرأ شق ثوبيه
وقال ألا أظير فطر إلى النار وبشم المصبر ، فهذه صفة خائفاء الله تعالى ، ووقلك
إنه ذكر من الخلفاء رجلا أصبغى إلخ ما باللك لانتذكره باسمه والرسول عليه
الصلاة والسلام يقول : « اذكروا الفاسق بما فيه منى يعرفه الناس » وقال
عاهه الصلاة والسلام : « أترعون عن ذكر الفاسق بما فيه منى يعرفه الناس »
وابن عبد ربه يقول : هو من الخلفاء ويكنم حتى اسمه ويصفه بأنه أضاع أمر
الرعية وأمر الدين والدنيا ، وأنه اشترى له بردان بألف دينار من بيت مال
المسلمين ، أفنى مثل هذا ينفق بيت مال المسلمين ، ثم شتمهما حين غنته حجابة
وسمتة سلامة حتى أراد أن يطهر ، فكم لعنة لعنته يا ابن عبد ربه عى هذا الحال .

هذه خطبتنا أبي حمزة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وذلك كلام الإمام
مالك فى خطبة أبي حمزة برواية ابن عبد ربه ، وهذا كلامه هو فى أبي حمزة
لاجرم ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد والله المستعان .

} يقام العبد الفقير إلى مولاه محمد بن حسن الرضا بن بيده .
} قرىخ يوم ١٩ محرم سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ٩ - ١٢ - ١٩٧٩ م

محتويات الكتاب

الروضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٥
القسم الأول : المشتمل على أربع حلقات - الحلقة الأولى	٧
الشيخ الطائي مازن بن غصوبة السعدي الصحابي الأول	١١
الصحابي الثاني : عبد الله بن وهب الراسبي	٢١
الصحابي الثالث : أبو العباس صجار بن العباس	٢٣
الصحابي الرابع : كعب بن بريشة الطاحي	٢٥
الصحابي الخامس : أبو شداد الذماري	٢٧
الحلقة الثانية : حلقة التابعين	٢٩
الحلقة الثالثة : في مشاهير أهل عمان في الصدر الأول	٣٣
الحلقة الرابعة : في حملة العلم إلى الأمة	٤١
أولهم : الإمام بشير بن المنذر النزواني	٤٣
منير بن النير الجعلاني - الثاني	٤٥
الثالث : موسى بن أبي جابر الأزركاني	٤٧
الرابع : الإمام محبوب بن الرحيل	٤٩
الخامس : محمد بن المعلى الكندي	١٥
حملة العلم إلى المغرب	١٥
الأول : أبو الخطاب المدافري	٥٣
الثاني : الإمام عبد الرحمن بن رستم	٥٥
الثالث عاصم السدراي	٥٧
الرابع : إسماعيل بن دوار الغدامسي	٥٩
الخامس : أبو داود النفزاوي القبلي	٦١
حملة العلم إلى اليمن	٦٣

رقم الصفحة	الموضوع
٧١	مشاهير الأباضية في اليمن
٧٧	عبد الله بن أباض التميمي
٧٩	مركز المذهب الأباضي
٨٣	ما يقوله علماء الإسلام في المذهب الأباضي
٨٩	القسم الثاني : من الكتاب في الاعتقاد
٩١	الحلقة الأولى : في معرفة الله عز وجل
٩٣	الحلقة الثانية : بيان الصفات الواجبة له تعالى
٩٥	الصفات الجائز عليه تعالى
٩٧	الصفات المستحيلة في حقه عز وجل
٩٩	الألفاظ المشبهة التي يدل ظاهرها على التجسيم
١٠٣	الحلقة الثالثة : في إثبات الكمال لله
١٠٥	إيضاح لمعنى التوحيد
١٠٧	الحلقة الرابعة : في الرؤية وما جاء فيها
١١٣	أعداء المذهب الأباضي في الإسلام
١١٧	الحلقة الخامسة : في الولاية والبراءة الشخصية
١٢٣	الحلقة السادسة : في حديث الافتراق
١٢٩	أخلاق الأباضية
١٣٣	وطن المذهب الأباضي
١٣٧	نسب أبي حمزة

